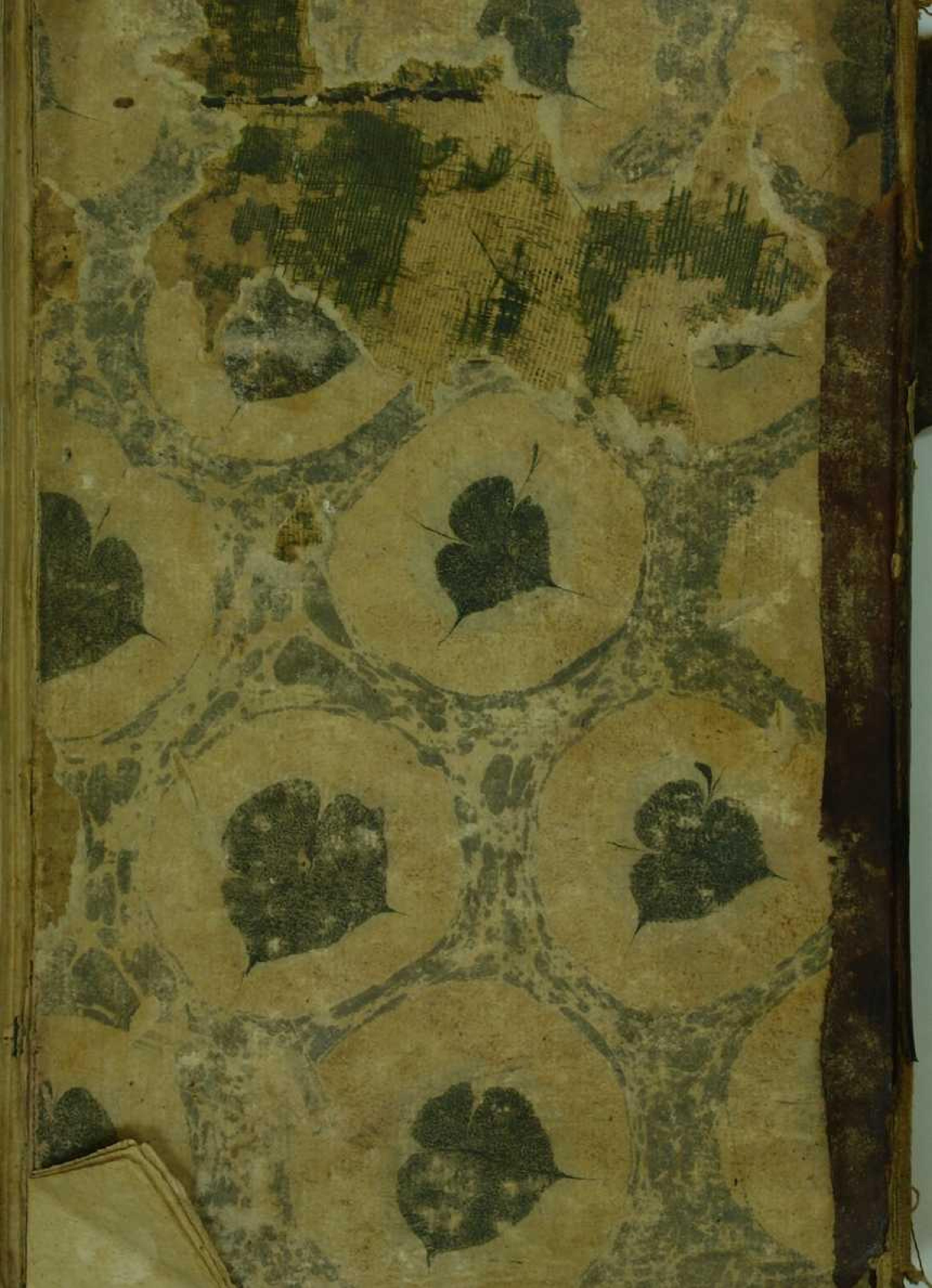


٢١٩ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تأليف القاضي عياض ،
ش ق
عياض بن موسى - ٥٤٤هـ. بخط محمد ديروي سنة ١٢٣٩هـ.
١٧٢ ق ٢٦٠٢٥س ٢٢،٥×١٥ سم
٦٧٧٥ نسخة جيدة ، خطها نسخ دقيق ، حققه علي محمد البجاري وطبع
سنة ١٩٨٤م.
مكتبة الحرم الابراهيمي : ٣٨ اخبار التراث ١٦: ٢٦
١- السيرة النبوية أ- المؤلف ب- الناسخ
ج - تاريخ النسخ.

ف ٢٦٩
٤
٨/٢/١٤٠٩هـ

ادرعكي علي شاذلي

مضى

١ ص

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى ابن عياض اليحصبي رضي الله
عنه الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه
منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة
وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى
وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رافة ورحمى زكاه روحا
وجسما وحاشاه عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما
فامن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن اياته
من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى صلى الله عليه وسلم صلاة
تنمو وتنمى صلى الله عليه وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف
لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم الله بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم
من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته واثار قدرته بما ملا قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة
فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره وهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين اثار
قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق
قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر
المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر
او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال و
ابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني
اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا ملا قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير
اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي ويضاف اليه او يمتنع
او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة
العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر فيها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم

تهتد

تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد
لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم
وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولما اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله
بقراتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر محمد بن بكر
نا سليمن بن الاشعث نا موسى بن اسمعيل نا حماد انا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت
الى نكت سفرت عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده
من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل و
ترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد
غدا او يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته
وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا
وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه
ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت
حصره وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة
القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة
ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية و
الدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد من صحيح
الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا
عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره تعالى على يديه من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصائص
والكرامات وفيه ثلاثون فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام
ويترتب القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع
سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول

القسم الاول
الباب الاول
الباب الثاني
الباب الثالث
الباب الرابع
القسم الثاني
الباب الاول
الباب الثاني

الباب الثالث في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول
القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف
اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات
والدلايل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف
وعده وعند التقصي لموعدته والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المومن
باليقين وتملا انواره جوانح صدره ونقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين
الباب الاول يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا
الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين
الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم شانيه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة
عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة
للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وال النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه
واختصر الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينتجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة
الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي
صدور قوم مومنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين
القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا قال القاضي الامام
ابو الفضل وفقه الله وسدده لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم
بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه اياه بفضايل ومحاسن ومناقب لا تنضبط
لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في
كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه واداب وحض العباد على التزامه
وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب
عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان
من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب
الكريمة والفضايل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات

البينة

البينة التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم
حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين
بن محمد الحافظ رحمه الله قراة مني عليه ثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن
خيرون قالا ثنا ابو يعلي البغدادي قال ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن احمد ابن محبوب ثنا ابو عيسى بن سورة
الحافظ ثنا اسحق بن منصور ثنا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما
ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا **الباب الاول** في ثناء الله تعالى
عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى
وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في
عشرة فصول **الفصل الاول** فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله
تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة
الجمهور بالضم قال الامام الفقيه ابو الفضل وفقه الله اعلم الله تعالى المومنين او العرب او اهل
مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم
يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة
لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وكونه
من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة
واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم
في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته بمومنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رءوف
رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية
وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا
منكم وروي عن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا
ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح قال الكلبي كتبت للنبي عليه السلام خمس مائة
ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس في قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز
خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه

محكوفاً من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيراً صادقاً
وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمداً بزينة الرحمة
فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شي من رحمته فهو الناجي
في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله يقول وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي
خير لكم وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي
رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق
بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمومنين وللكافرين
اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام
هل اصابك من هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى
فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم
وقال الله تعالى نور السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا
محمد عليه السلام وقوله مثل نوره اي نور محمد وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي
اهل السموات ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعاً في الاصلاب كمشكاة صفتها
كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان و
الحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها
يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل
في هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا الموضع نوراً وسراجاً
منيراً فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيراً ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة
شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالاسلام وقال سهل بنور
الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يوذيك الوسواس
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد

نقل ايام الجاهلية وقيل اراد ... ما انقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي و
السلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك لانقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك
قال يحيى بن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في
الاذان قال القاضي ابو الفضل وفقه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم
على عظيم نعمه لديه وشرف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه
لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كان عليه بظهور
دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه
بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا
والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً
رسول الله روى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول
تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت
تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكراً من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد
الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة
ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول و
امنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غيره عليه
السلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة
عنه نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد المومن نا ابو بكر بن داسة نا ابو داود حدثنا ابو
الوليد الطيالسي نا شعبة عن منصور السجستاني عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله
ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله على مشية من
سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث
الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمن
كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف
على يعصهما وقول ابي سليمن اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى

ولم يذكر الوقوف على بعضها وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله ان الله وملئكته يصلون
على النبي هل يصلون راجعة على الله تعالى والملئكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك
وخصوا الضمير بالملئكة وقد رد الاية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر
رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الايتين روي انه لما نزلت هذه الاية
قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله و
الرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى
مكي عنهما نحوه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى
ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن
فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد
الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك
بالعروة الوثقى انه محمد عليه السلام وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في
قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي
جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الايتين اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق
هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم
الذي صدق به المومنون وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في
قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه **الفصل**
الثاني في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله تعالى له في هذه الاية ضروبا من رتب
الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي
من خصائصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده
وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد ابن عتاب رحمه الله قال
ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله

محمد بن

محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا محمد ابن سنان ثنا فليح ثنا هلال عن عطاء بن يسار لقيت
عبد الله بن عمرو بن العاصي قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله
انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في
الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به
الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا
وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب
في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد
اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به
بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به
بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس
وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده
بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى يتبعون الرسول
النبي الامي الايتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم الله
منته انه جعل رسوله رحيما بالمومنين رؤوفا رحيما لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول
لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي
ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله في الاية الاخرى
وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد الاية وقوله وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك
خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم
الرسول بالصدق وقيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فيقول
اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم

وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر
الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد
صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري هي
شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري
هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين
والصديقين الشفيع المطاع والسايل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله
عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله
وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه
عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف
عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه
ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم
منزلته عنده ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة
غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية
وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم
وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل يجب على المسلم المجاهد نفسه الرايض
بزمام الشريعة خلقه ان يتادب بادب القران في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر
المعارف الحقيقية وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة العجيبة في
السوال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوايد
وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال
تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى
الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه السلام قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء
ومحافظة لشرايط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدا بثباته وسلامته قبل ذكر
ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ومثله
قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله عنه

قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جيت به فانزل الله تعالى
فانهم لا يكذبونك الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه
جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله الاية
ففي هذه الاية منزع لطيف الماخذ من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه
في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه
قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير
ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب
الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشي ثم انكره كقوله وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره عن من قبله ووعده
النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرا يكذبونك بالتخفيف فمعناه
لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون
على كذبك ولا يثبتونه ومن قرا بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل
لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصايصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب
جميع الانبياء باسمايهم فقال يا ادم يا نوح يا ابرهيم يا داود يا عيسى يا زكريا
يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم
واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقايك يا محمد وقيل
وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن
عباس ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد وما سمعت الله تعالى اقسم
بحياة احد غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم
البرية عنده وقال تعالى يس والقران الحكيم الايات اختلف المفسرون في معنى يس على
اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان
منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة

الفصل الثالث

الفصل الرابع

قال ابو جهل

اسمه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا وقال هو قسم وهو من اسماء الله
وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن
كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين
ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين فان قرر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح
فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويوكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه
وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته
اقسم تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه
اى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد
من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه
يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد
وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل
لا زايدة اى اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد
بالبلد عند هولاء مكة وقال الواسطي اى يحلف لك بهذا البلد الذى شرفته بمكانك
فيه حيا وببركتك ميتا يعنى المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه
قوله حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال
امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد
من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابرهيم وما ولد فهى ان شاء الله اشارة الى
محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم به في موضعين وقال تعالى الم ذلك
الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها
غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام جبريل
والميم محمد عليه السلام وحكى هذا القول السمرقندى ولم ينسبه الى سهل وجعل
معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول
يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه
نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه
صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يوثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل

هو اسم للقران وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن
محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد عليه السلام وقال النجم قلب محمد هوى انشرح
من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر
محمد لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس

في قسمه تعالى جده له لتحقق
مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول
هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به
فتكلمت امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت
السورة قال الامام ابو الفضل وفقه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى
له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله
بقوله والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة
الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اى ما تركك
وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللاخرة خير لك من الاولى
قال ابن اسحق اى ما لك في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال
سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا
الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع
السعادة وشتات الانعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في
الدنيا والثواب في الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروى عن بعض ال النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ليس اية في القران ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من الائه
قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه
عمه واواه اليه وقيل اواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه وقيل المعنى
الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عايلا واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن
وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته
به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفايه السادس امره باظهار

نعمة عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشاده ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة
الحديث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات
ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره
ومنها القران وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام وقال هو قلب محمد وقد قيل فى قوله
والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى
الله عليه وسلم حكاه السلمى تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه العد ما يقف
دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما
تلا وانه وحى يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن
فضيلته بقصة الاسراء وانتهايه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما راى
وانه راى من ايات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى فى اول سورة الاسراء ولما
كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت لا يحيط به
العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايما والكناية الدالة على
التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد
والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال لقد راى من ايات
ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام فى تعيين تلك
الايات الكبرى قال القاضى ابو الفضل واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى
بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من الافات فى هذا المسرى فزكى فواده و
لسانه وجوارحه قلبه بقوله ما كذب الفواد ما راى ولسانه بقوله وما ينطق عن
الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اى اقسم انه لقول رسول كريم اى
كريم عند مرسله ذى قوة على تبليغ ما حمله من الوحى مكين اى متمكن المنزلة من ربه رفيع
المحل عنده مطاع ثم اى فى السماء امين على الوحى قال على بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا
محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف
اليه ولقد راه يعنى محمدا قيل راى ربه وقيل راى جبريل فى صورته وما هو على الغيب
بظنين اى بمتهم ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاية والتذكير بحكمه وبعلمه

وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال تعالى ن والقلم الايات اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم
قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله محسنا
خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة فى المخاطبة واعلى درجات الاداب
فى المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دايم وثواب غير منقطع لا ياخذه عد ولا يمتن
به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد
ذلك تتميما للتمجيد بحرفى التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام
وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطى اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه
اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم
المحسن الجواد الحميد الذى يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه
ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم
بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء
خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال
الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق
بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته
لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت فى ديوان مجده الفصل السادس
فيما ورد من قوله تعالى فى جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال تعالى طه ما انزلنا
عليك القران لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه السلام وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل
وقيل يا انسان وقيل هى حروف مقطعة لمعان قال الواسطى اراد يا طاهر يا هادى وقيل
هو امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك
بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت الاية فيما كان
النبى صلى الله عليه وسلم يتكلف من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضى ابو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضى ابى الوليد الباجى اجازة ومن اصله
نقلت قال نا ابو ذر الحافظ نا ابو محمد الحموى نا ابرهيم بن خريم الشاشى نا عبد بن
حميد نا هاشم بن القسم عن ابى جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعنى طا الارض يا محمد

الفصل السادس

ما انزلنا عليك القران لتشقى ولا اخفاء في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه
من اسمائه عليه السلام كما قيل وجعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة
والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا اى قاتل
نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا
مومنين ثم قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا
الباب قوله تعالى فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون الى اخر السورة وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قال مكى سلاه تعالى
بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله
ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى
كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله بما اخبر به عن
الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار
مكة وانه ليس اول من لقى ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اى اعرض
عنهم فما انت بملوم اى فى اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك
فانك باعيننا اى اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا فى اى كثيرة
من هذا المعنى **الفصل السابع** فيما اخبر الله به فى كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف
منزلته على الانبياء وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من
كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسى استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه
وسلم بفضل لم يوته غيره ابانه به وهو ما ذكره فى هذه الاية قال المفسرون اخذ الله
الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه
ليومنن به وقيل ان يبينه لقومه وياخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله
ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال على بن ابى
طالب رضى الله عنه لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى محمد
صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليومنن به ولينصرنه وياخذ العهد بذلك
على قومه ونحوه عن السدى وقتادة فى اى تضمنت فضله من غير وجه واحد قال
الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال انا اوحينا

السـع
الفصل

اليك

اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال
فى كلام بكى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبياء وذكرك فى اولهم فقال واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابى انت وامى يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها
يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل
نوح وغيره قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر
قبلهم وهو اخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات
محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنايم وظهرت على
يديه المعجزات وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة او كرامة الا وقد اعطى محمد صلى
الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم
وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول وحكى السمرقندى
عن الكلبى فى قوله تعالى وان من شيعته لابرهيم ان الهاء عايدة على محمد اى ان من
شيعة محمد لابرهيم اى على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكى وقيل المراد
نوح عليه السلام **الفصل الثامن** فى اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته
له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى ما كنت
بمكة فلما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة وبقى فيها من بقى من المومنين نزل وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية وقوله ولولا
رجال مومنون الاية فلما هاجر المومنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا
من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأه العذاب عن اهل مكة بسبب
كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المومنين عليهم
وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفى الاية ايضا
تاويل اخر حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله بقراتى عليه نا ابو الفضل بن خيرون

الثـ
الفصل

وابو الحسين الصرفى نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو على السنجى نا محمد ابن محبوب المروزى
نا ابو عيسى الحافظ نا سفيان بن وكيع نا ابن نمير عن اسمعيل بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد
بن يوسف عن ابى بردة بن ابى موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله
على امانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار ونحوه منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال عليه السلام انا امان لاصحابى قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال
بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية
فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملئكته
يصلون على النبى الاية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملئكته
وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تاول قوله عليه
السلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة على هذا اى فى صلاة الله على وملئكته وامره
الامة بذلك الى يوم القيمة والصلاة من الملئكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل
يصلون يباركون وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة
والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين فى تفسير حروف كهيعص
ان الكاف من كاف اى كفاية الله تعالى لنبيه قال اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته
قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده قال ايدك بنصره والعين عصمته له قال
والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال ان الله وملئكته يصلون على النبى
وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية مولاه اى وليه وصالح المؤمنين
قيل الانبياء وقيل الملئكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل على وقيل المؤمنون على ظاهره

التاسع الفصل

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا
لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه
وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدا جل جلاله
باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته
وانه مغفور له غير مواخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم
يقع اى انك مغفور لك وقال مكى جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره

منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر عليك
وقيل بفتح مكة والطايف وقيل الله يرفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفر لك
فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبرى عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له
ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز
ومنته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التى جعلها فى قلوبهم وبشارتهم
بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه فى
الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه وخصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه
الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا
عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من
الله الحسنى وتعزروه اى تجلونه وقيل تنصرونه وقيل تبالغون فى تعظيمه وتوقروه
اى تعظمونه وقرا بعضهم تعززوه بزايين من العز والاكثر والاظهر ان هذا فى
حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء
جمع للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام
الاجابة والمغفرة من اعلام المحبة وتمام النعمة وهى من اعلام الاختصاص
والهداية وهى من اعلام الولاية فالمغفرة تبرية من العيوب وتمام النعمة
ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد
من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره وعرج
به الى المحل الاعلى وحفظه فى المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى
الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد
ولد ادم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركنى التوحيد ثم قال
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعنى بيعة الرضوان اى انما يبايعون
الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل
ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس فى الكلام وتاكيد
لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا

11

قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان
الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله
وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل
تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق لهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة
لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ
ومناسبته اى ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب
ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اى ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل
والرامي بالمعنى وانت بالاسم **الفصل العاشر** فيما اظهره في كتابه العزيز من
كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من
ذلك ما نصه تعالى من قصة الاسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة
من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من
الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله
الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم
لهلكه وخلوصه نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم
عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك له من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن
مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله بما اعطاه
والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات
الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه فقال ان شانئك
هو الابتر اى عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي
لا خير فيه وقال ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني
السور الطول الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ام القران
والقران العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهي وبشرى
وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبأ القران العظيم وقيل سميت ام
القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم

الفصل العاشر

ودخرها

وذخرها له دون الانبياء وسمي القران مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع
المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم
والسكينة وقال وانزلنا اليك الذكر الاية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية قال فهذه من خصائصه
وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا
صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين
من انفسهم اى ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع
امره اولى من اتباع راى النفس وازواجه امهاتهم اى هن في الحرمة كالامهات حرم
نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في الاخرة وقد قرئ
وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفة المصحف وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب و
الحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها
اشارة الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما **الباب الثاني**
في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه
نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال
الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا
ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويتقرب الى الله زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص
لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه
اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة
فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه و
عزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه
ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذا
قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة
وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية
من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة

الباب الثاني

والجود والشجاعة والحياء والمروة والصمت والتودة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة
واخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض
الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لابد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما
سنبينه ان شاء الله وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة و
لكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها و
تفضيلها **فصل** اذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف ف
بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة
او سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة
وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا
ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة
النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي
والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث
الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد ادم
ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية
ورحمة العالمين واعطاء الرضى والسول والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم
وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد
بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقران العظيم وتزكية الامة والدعاء
الى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم
والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجماد والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع
الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر
بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من الناس
الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد
له في الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى
والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم **فصل** ف
ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا

واعظم

١٢

واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا
جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله
قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير
مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة
الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه
في حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس
بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة
وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن
خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون
ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين
كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين
ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين
سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا
القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله
عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام
اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك
البدن ضرب اللحم قال البراء ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل
كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا
وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه
من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي
رضي الله عنه في اخر وصفه له من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول
ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته
مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة

مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه
هناك ان شاء الله **فصل** واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار
وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصايص لم توجد في غيره ثم تممها
بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن
العاصي وغير واحد قالوا نا احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي
نا ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا جعفر بن سليمن عن ثابت عن انس قال ما شممت
عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن
سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما
اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل
يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول
الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها صلى
الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه
الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه
ذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رايحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن
جابر اردفني النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى
بعض المعتنين باخباره وشمايله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت
الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك رايحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد
ابن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عايشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم
انك تاتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عايشة اما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج
من الانبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم
بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو
نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي
في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع
الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث
ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت

فلم اجد

فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله
قول ابي بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك
بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن
تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال عليه السلام
ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه
في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم
ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري
اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي
قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال
فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته
وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات
قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن امه امنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر
وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني
النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى
ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا **فصل** واما وفور عقله
وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمايله فلا مرية انه
كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة
العامة والخاصة مع عجيب شمايله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره
من الشرع دون تعلم ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب
فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرات
في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم
رايا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا
الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا
وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى

من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه السلام اني لأراكم
من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عايشة مثله قالت زيادة زاده الله
اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من وراي كما انظر من بين يدي وفي اخرى اني
لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملايكة
والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين
بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين
وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا
احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد
العدل من كتابه نا ابو الحسن المقري الفرغاني حدثتنا ام القسم بنت ابي بكر عن
ابيها نا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن احمد بن
سليمان نا محمد بن محمد بن مرزوق نا هاني نا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في
الليلة الظلما مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب
بعد الاسرى والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة
اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا و
عاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت
احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا
وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى
مشى تقلعا كانما ينحط من صبب **فصل** واما فصاحة اللسان وبلاغة القول ف
فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة
منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع
الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها
بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه في غير موطن عن
شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع

وقريش

قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن
ابن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووايل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال
حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون
علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من
الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم
فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها و
مذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلوة
كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني
نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل
عن الصلوات وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان
الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق
وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوايل بن
حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك
وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن
زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر حرام و
وايل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام
هولاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم
ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي فان
اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلغتنا وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك
اي سل عما شيت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع
كلمه وحكمه الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها
الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافا دماوهم
ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء
مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرء عرف قدره

والمستشار موتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم
وقوله اسلم تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم
القيامة احاسنكم اخلاقا الموطون اكنافا الذين يولفون ويولفون وقوله لعله كان يتكلم
بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل
وقال وكثرة السوال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات
وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور
اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات
يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسالك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري
وتلم بها شعثي وتصلح بها غايبتي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها
رشدي وترد بها الفتن وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسالك الفوز في القضا
ونزل الشهدآء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما دونه الكافة عن الكافة من
مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك
مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها
ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ
المومن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر العجب
في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو
افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القران بلساني لسان عربي مبين وقال
مرة اخرى بيد اني من قريش ونشات في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم
قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى
التاييد الالاهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشرى وقالت ام معبد
في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن
وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم **فصل** وانما شرف نسبه
وكرم بلده ومنشيه فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا
خفي منه فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم
نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده

حدثنا

حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله نا القاضي ابو الوليد
سليمن بن خلف نا ابو ذر عبد بن احمد نا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو
القسم نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا قتيبة بن سعيد نا يعقوب
بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت
منه وعن العباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم
من خير قرنهم تخير القبايل فجعلني من خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني من
خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة ابن الاسقع قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه
الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم
اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار بني هاشم ثم اختار
بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين
يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملئكة
بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذف بي
في صلب ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة
حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر
العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور **فصل** واما ما تدعو ضرورة الحياة
اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب
تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة
وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما
لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب

لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ
وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء
الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم
الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة
القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل
متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها
وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارًا
واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين
الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لاسيما
بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراتي عليه نا ابو الفضل
الاصبهاني نا ابو نعيم الحافظ نا سليمن بن احمد نا بكر بن سهل نا عبد الله بن صالح حدثني
معوية ابن صالح ان يحيى ابن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن
صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم
من كثرة الاكل والشرب قال سفين الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال
بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرًا وقد روي عنه صلى الله
عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عايشة رضي
الله عنها لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسالهم طعامًا
ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على
هذا بحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سواله ظنه صلى الله عليه
وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم
لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها
صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست
الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل حتى
يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل متكئًا والاتكاء هو التمكن

للاكل

للاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس
على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم
انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين
وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك
فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على
قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة
حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم
على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق **فصل** والضرب
الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق
فيه شرعًا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة
معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة ماثورة وقد قال ابن عباس
افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام
تناكحوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض
البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه
اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله
قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد
الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن
عمر وغيرهم غير شي وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته
من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورًا فكيف يثني الله
عليه بالعجز عما نعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما
قررته نكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه حصورًا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا
او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة
وعيب ولا يليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر
عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا

ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى
عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة زايدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات
حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن
ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة
ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته
اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره
فقال حبب الي من دنياكم فدل انه حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من امور
دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لاخرته للفوايد التي ذكرناها في
التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه
ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان
حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك
ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد
ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله
عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحراير
ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة
من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين خرجه
النسائي وروى نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي عليه السلام قوة اربعين
رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته كان النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال
هذا اطهر واطيب وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة
او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل
وكانت له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية وحكى النقاش سبع مائة امراة و
ثلثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده
تسع وتسعين امراة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب
العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعين نعجة وفي حديث انس عنه عليه

السلام

السلام فضلت على الناس باربع بالسخا والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما
الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة
عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة
فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض
وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند
الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية
حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سياتي
بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرويته من لم يره كما روي عن قيلة لما راته ارعدت
من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين
يديه فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة
وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ
النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره

فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه و
التفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به
الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه
الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه
مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند
اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله
والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه
وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على
جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذن التمدح
بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه
في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة
ولا غني بالمعنى ولا متمدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى
غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال
غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق غني ملي بتحصيله فوائد المال وان لم

يبق في يده من المال شئ فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي
خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته
صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام
والعراق وجبلت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لم يجبى للملوك الا بعضه
وهادنه جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشئ منه ولا امسك منه درهما بل صرفه
مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت
عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت
منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استرحت
ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما
تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب
الشملة والكسا الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج
المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاه في الملابس والتزين بها ليست
من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط
في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يودي الى الشهرة في الطرفين
وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة
الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته و
خدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبى اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها
فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدة عليها
في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها **فصل** ف
واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء
على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع
على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه
من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها
والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله
عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال

وانك

وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط
بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما
ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا
رياضة الا بجود الاهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء ومن طالع سيرهم
منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمن وغيرهم
عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في
الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطى يحيى العلم بكتاب
الله تعالى في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان
لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى
بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو
في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك
تحية له وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني
على من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده
فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا
اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمن وهو صبي يلعب في قصة المرجومة
وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي
الملك اثنى عشرة عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو
طفل وقال المفسرون في قوله ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل اي هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال
بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه و
يذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء
ابرهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان
ابتلى اسحق بذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم بالكوكب
والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الى يوسف وهو صبي

عند ما هم اخوته بالقائه في الجب بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير
ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى
الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه
صلى الله عليه وسلم لما نشات بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم اهم بشيء مما كانت
الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف
نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا
باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون
ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما
وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل
عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان
على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة كما نجد بعضهم على
ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب
معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس
فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق
جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في
العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه
وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة
والكذب وقال عمر بن الخطاب في حديثه والجراة والجبن غرائز يضعها الله حيث
يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير
الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى **فصل** اما اصل ف
فروعها وعنصر ينبوعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم
والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الراي وجودة الفطنة والاصابة و
صدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن
السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا
الى مكانه منه عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر

سواه

سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله
واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه
بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية واياما وضرب
الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم
الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته
حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه
في معجزاته ان شاء الله دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا
الجلوس الى علمائهم بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره
وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع
على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص واحاد القضايا اذ مجموعها ما لا
ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه
وسلم الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته
وعظيم ملكوته قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت
العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او
ف ينتهي اليه **فصل** واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما
يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات
والاحتمال حبس النفس عند الالام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة
واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ
العفو وامر بالعرف الاية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية
سال جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد
ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال
له واصبر على ما اصابك الاية وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال وليعفوا
وليصفحوا الاية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر
من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله
عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا انا محمد بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد

القاضي وغيره نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن
عروة عن عايشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو
دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي
فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي
يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت علينا
مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت
ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق
وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى
عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد ثم اظهر سبب
الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون
ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يرده في جوابه ان
بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل اذا لم
اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له
غورث بن الحرث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده
قايلا والناس قايلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم
والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه
النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء
الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن
اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ
لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا
عن معاقبته وكذلك لم يواخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم

ما نقل

ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل
اصحابه وعن انس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه
اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد
احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا مال
ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك
يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك
النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر قالت عايشة رضي الله عنها
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم
الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امراة
وجيء اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو
اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ
ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره
عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرني بحسن القضا وتامره بحسن التقاضي
ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما
روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد
عرفتها في محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل الا حلما فاختبرته
بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من
ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا
مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرة الشدايد الصعبة
معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة
خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال
انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية وقال لابي

سفيان وقد سبق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه و
لاطفه في القول ويحك يا ابا سفين الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي
ما احلمك واوصلك واكرمك وكان صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم

فصل واما الجود والكرم والسخا والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها
بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو
ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة
والسخا سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى
الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا
القاضي الشهيد ابو على الصدفي رحمه الله نا القاضي ابو الوليد الباجي نا ابو ذر الهروى
نا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي حدثنا ابو عبد الله الفربرى
نا البخاري نا محمد بن كثير انا سفين عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول
ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا عن شيء فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله
وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر
رمضان وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما
بين جبلين فرجع الى قومه قال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد
من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها
وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فساله
فقال ما عندي شيء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله
انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه
وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفرا اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا
قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه

كثير

كثير وعن ابي هريرة اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسئله فاستسلف له رسول الله
صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه
قضاء ونصفه نائل

فصل واما الشجاعة والنجدة والشجاعة فضيلة قوة
الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث
يحمد فعلها دون خوف فكان صلى الله عليه وسلم منها بالمكان الذي لا يجهل قد حضر
المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر
ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا
ابو على الجياني فيما كتب لي قال نا القاضي سراج نا ابو محمد الاصيلي نا ابو زيد الفقيه
نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا ابن بشار نا غندر نا شعبة عن ابي
اسحق سمع البراء وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفين
آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب
قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر
مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول
الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا
تسرع وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رايت
اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله
عنه انا كنا اذا حمي الباس ويروى اشتد الباس واحمرت الحدق اتقينا برسول
الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر
ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس
يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو
لقربه منه وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع
الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري

والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت
ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدا يوم بدر عندي فرس اعلفها
كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله
فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من
المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحرث
بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض
ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا
وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس
بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي
لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة فصل واما الحياء والاغضاء والحياء رقة
تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء
التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم
عن العورات اغضاء قال الله سبحانه ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم الاية و
حدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراتي عليه نا ابو القسم حاتم ابن محمد نا ابو الحسن
القابسي نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد ابن اسمعيل نا عبدان انا عبد
الله انا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في
وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء
وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه
لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون
كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة
فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا
ويروى ينزعها قالت عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا
متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح

وقد حكى

وقد حكى مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاصي
وروي عنه انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره
الكلام اليه مما يكره وعن عائشة ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فصل
واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت
به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام كان اوسع الناس صدرا
واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي
فيما اجازنيه وقراته على غيره قال نا ابو اسحق الحبال نا ابو محمد ابن النحاس نا ابن الاعرابي
نا ابو داود نا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى نا ابو الوليد بن مسلم نا الاوزاعي سمعت
بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال
زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في اخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد
حمارا وطا عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال
اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة
اولى بمقدمها وكان صلى الله عليه وسلم يولفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم
ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد
اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه
او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء
بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دايم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا
غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يوبس منه
وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية
ولو كانت كراعا ويكافي عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن
عائشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد

من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا راني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم
ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة
والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم
احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي
ينحي راسه وما اخذ آخذ بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم ير مقدما
ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه با
المصافحة لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل
عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان
ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى
يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس
اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وساله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان
اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قران او يعظ او يخطب قال عبد الله بن
الحرث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس كان خدم المدينة
ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الماء فما يؤتى بانية الا غمس
يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك **فصل** واما الشفقة
والرافة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤف
رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله اعطاه
اسمين من اسمائه فقال بالمومنين رؤف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا
الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراتي عليه نا امام الحرمين ابو علي الطبري
نا عبد الغافر الفارسي ابو احمد الجلودي نا ابرهيم بن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا ابو
الطاهر انا ابن وهب انا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزوة وذكر حنينا فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم
مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني
ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا

جاءه

٢٣

جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب
المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا
ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك
قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي
حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغداء والعشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم
ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم
يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني بها ارفق منكم
واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل
النار وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا
فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه السلام تخفيفه
وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم
بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهة دخول الكعبة لئلا
يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي
فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل
سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك
يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك
لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال
وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه
وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا
وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السماء
والارض والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عائشة
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عائشة

انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق ف
فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا
القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراتي عليه قال نا ابو بكر محمد بن محمد نا ابو اسحق
الحبال نا ابو محمد ابن النحاس نا ابن الاعرابي نا ابو داود نا محمد بن يحيى نا محمد بن
سنان نا ابرهيم ابن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه
عن عبد الله ابن ابي الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية
فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال
يا فتى لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت
تحب خديجة وعن عائشة قالت ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها
وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها
ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن السوال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا
ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي
رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان ال ابي فلان ليسوا
لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بامامة ابنة ابنته
زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة وفد وفد
للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا
لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم ولما جي باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا
هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة
او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت
النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه
فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمر بن السايب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له
بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست
عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه

وكان

وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقي من
قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر
فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة ف
رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا
ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله
قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه
واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراتي عليه في منزله بقرطبة
سنة سبع وخمسمائة قال نا ابو علي الحافظ نا ابو عمر نا ابن عبد المومن نا ابن داسة
نا ابو داود نا ابو بكر ابن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي
العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
متوكيا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا
عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه و
يعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم
حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن
مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة كان في عقلها شي جاءته
فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك
حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها
قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم
بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعا الى خبز الشعير
والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما
تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد
فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها
بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى
ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبيا

ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابرهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في
السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابرهيم وسياتي الكلام
على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله وعن عايشة والحسن وابي سعيد وغيرهم
في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله
ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن
معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس ان كانت الامة من اماء اهل المدينة
لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي
حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني
لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة دخلت
السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوازن زن وارجح
وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا
تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت
لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله **فصل** واما عدله صلى الله عليه وسلم
وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس
واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى
قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة
وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش
وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله
عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن
الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال
صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ
بقراتي عليه نا ابو الفضل ابن خيرون نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن
محبوب المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا ابو كريب نا معوية بن هشام عن سفيان عن ابي
اسحق عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن
نكذب بما جئت به فانزل الله فانهم لا يكذبونك الاية وروى غيره لا نكذبك ولا انت

فينا

فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس
هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله
ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحرث لقريش قد كان محمد
فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب
وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده
يد امراة قط لا يملك رقها وفي حديث علي في وصفه عليه السلام اصدق الناس لهجة و
قال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عايشة
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان
ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم
الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم
بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون لكن نبينا صلى الله
عليه وسلم جزا نهاره ثلثة اجزاء جزا لله وجزا لاهله وجزا لنفسه ثم جزا جزءه بينه
وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي
فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري
عن علي عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك
يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة
لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك
حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب
على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك
ثم لم اهم بعد ذلك بسوء **فصل** واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته
وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه نا ابو العباس الدلائي نا
ابو ذر الهروي نا ابو عبد الله الوراق نا اللؤلؤي نا ابو داود نا عبد الرحمن بن سلام
نا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن ابن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت

خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا
من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس
احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع
وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض
عن من تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك
اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه
الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير وفي صفته
يخطو تكفيا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف
في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود ان احسن
الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير
والتفكر قالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان
صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول
حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن مروته صلى الله عليه
وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك و
ف انقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة **فصل** واما زهده في الدنيا
فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه
عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله عليه
وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل
رزق ال محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي
ابو عبد الله التميمي قالوا نا احمد بن عمر نا ابو العباس نا ابو احمد الجلودي نا ابو سفيان
نا ابو الحسين بن الحجاج نا ابو بكر بن ابي شيبة نا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم
عن الاسود عن عائشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز
حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه
الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع ال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر

حتى لقي

٣٦

حتى لقي الله وقالت عائشة ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة
ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحرث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت
عائشة ولقد مات وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال
لي اني عرض علي ان تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما
فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فاحمدك
واثني عليك وفي حديث اخر ان جبريل نزل عليه فقال له ان الله يقرئك السلام
ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق
ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا
عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة قالت ان
كنا ال محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن
ابن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير
وعن عائشة وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم
يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس قال ما اكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى
شاة سميطا قط وعن عائشة انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه
ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه
ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموا لي
الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني الليلة صلاتي
وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة قالت
لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت
الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع
فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد
عيشها ولقد كنت ابكي رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من
الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة

مالي وللدنيا يا اخواني من اولى العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا
على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي
قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم **فصل** واما خوفه ربه وطاعته
له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد ابن عتاب قراءة
مني عليه قال نا ابو القاسم الطرابلسي نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي نا ابو
عبد الله الفربري نا محمد بن اسمعيل نا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب
عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه
الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط
ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى
الصعدات تجأرون الى الله لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت
اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل
له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا
شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عايشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى
نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقال كنت لا تشاء ان تراه
من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف بن مالك كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ
فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ
ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد و
قال مثل ذلك ثم قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال
سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وآل عمران

والنساء

والنساء والمايدة وعن عايشة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة وعن عبد الله بن
الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي
هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست له راحة وقال عليه السلام
اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب
اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي
والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق
شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث اخر وثمرة
فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي **فصل** اعلم وفقنا الله واياك
ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف
النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام
البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع
الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه السلام ان اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم
ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رايت موسى
فاذا رجل ضرب رجل افتى كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة
كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث اخر مبطن مثل السيف
قال وانا اشبه ولد ابرهيم به وقال في حديث اخر في صفة موسى كاحسن ما انت راء
من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط
نبيا الا في ذروة من قومه ويروى ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن
قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن
الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث
هرقل وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في
انساب قومها وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى

يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين
وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران الايتين وقال في نوح انه كان
عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال اني عبد الله
اتاني الكتاب الى ما دمت حيا وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى
الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده
شيء استحيا الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية وقال في وصف جماعة
منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير من استاجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم
اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه
بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين
وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد الايتين
وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمن نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابرهيم
واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود انه اواب ثم قال
وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزائن
الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا وقال وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما
وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية قال سفين هو الحزن الدائم في اي كثيرة
ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير
كقوله انما الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي
ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم وروي ان سليمن كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا
وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحي اليه
يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في
جنوده فيامر الريح فيقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع و
انت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع وروى ابو هريرة عنه عليه السلام

خفف

خفف على داود القران فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا ياكل
الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان
سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال عليه السلام احب
الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود كان ينام نصف
الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف
ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير
ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا
حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في
خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد
تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني
بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان
احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين
كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد كان الانبياء
قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال
عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره
ان اعود لساني المنطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي
من خشية الله حتى اتخذت الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط
الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش وياكل في نقرة من
حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من
كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق
وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت الى
ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين او المفسرين مما يخالف هذا فصل
قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال
العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الاثار ما فيه مقنع والامر
اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء

وبجرحصابصر زاخرلاتكدره الدلاء ولكنا اتبنا فيه بالمعروف مما ذكره في الصحيح والمشهور
من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه
الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة لتحويه من شمايله واوصافه كثيرا وادماجه
جملة كافية من سيره وفضايله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي
ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراتي عليه سنة ثمان وخمس مائة قال نا الامام
ابو القسم عبد الله بن طاهر التميمي قرات عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن
الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي
ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا انا ابو القسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي
انا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ نا
سفين بن وكيع نا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل
من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المومنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن
ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رحمه الله قال سالت خالي هند ابن ابي هالة قال
القاضي ابو علي رحمه الله وقرات على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداذ الكرجي
الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد ابن الحسن بن خيرون قالا انا ابو
علي الحسن بن احمد ابن ابراهيم بن الحسن ابن محمد بن شاذان ابن حرب بن مهران الفارسي
قراءة عليه فاقر به انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن
الحسين ابن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي نا اسمعيل بن محمد بن اسحق
بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن
علي بن الحسين عن اخيه موسى ابن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن
علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سالت خالي هند بن ابي هالة
عن حليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجوا ان يصف لي منها شيئا
اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلالؤ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر
اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق
والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب
سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتامله

اشم

اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان
عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر
مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة و
السرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي
الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين وساير الاطراف سبط
العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفوا
ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض
الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدا
من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان
دايم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه
ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم
النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض
للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا
تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب
اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن
فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فساله اباه عن مدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سالت ابي
عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك
فكان اذا اوى الى منزله جزا دخوله ثلثة اجزا جزءا لله تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه
ثم جزا جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان
فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه قسمته على قدر فضلهم في الدين
منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوايج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما
اصلحهم والامة من مسالته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغايب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا
يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره

قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون
ادلة يعني فقها وقلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويولفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد
اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه
معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر
عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة
واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه
فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى
عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي
كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من
القول وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين
متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس
حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته و
هذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير
ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسالته عن سيرته صلى الله عليه
وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا
عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يوبس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء
والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا
يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم
الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى
يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويعجب مما يتعجبون منه و
يصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه
ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء

اوقيام

اوقيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه
وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي
تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى
الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه
بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الراي بما اصلح امته والقيام لهم
بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله وعونه **فصل** في تفسير
غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله
في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كان مشط فتكسر قليلا
ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت من ذات نفسها
فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر
حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض
الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله في
الحديث الاخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر
والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال
شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد
سواد الحدقة وفي الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذي في بياضها
حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز
فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر
الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه
بعضا مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم
والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر
ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادي
الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن
والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين
وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس روس

الكلام وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد ججتمع الكتفين وشثن الكفين
والقدمين لحيمها والزندان عظما الذراعين وسايل الاطراف اى طويل الاصابع
وذكر ابن الانبارى انه روى سايل الاطراف او قال ساين بالنون قال وهما
بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية واما على الرواية الاخرى وسايل
الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث ورحب الراحة
اى واسعها وقيل كنى به عن سعة العطا والجود خمصان الاخمصين اى متجافى
اخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين
اى املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الما وفى حديث ابى هريرة خلاف هذا قال فيه اذا
وطئ بقدمه وطى بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه
قالوا سمى المسيح بن مريم اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا
يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفو الميل الى سنن
الممشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه كان
يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق
وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه
اى لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب
الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه ما يوصل
الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء اخر بالعامة
ويدخلون روادا اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق
قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اى فى الغالب والاكثر والعتاد العدة
والشى الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ
لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا فى غير هذا الحديث
وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اى يذكرن بسوء
ولا تنثى فلتاته اى يتحدث بها اى لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت و
يرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافى
قيل مقتصد فى ثنايه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافى على يد سبقت من

الثالث

البنى صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفى حديث اخر فى وصفه منهوس العقب اى قليل
لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها **الباب الثالث** فيما ورد
من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند الله ومنزلته وما خصه به فى الدارين
من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد ادم وافضل الناس
منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة فى
ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معانى ما ورد منها
فى اثنى عشر فصلا **الفصل الاول** فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفا
ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه به فى الدنيا من مزايا الرتب وبركة
اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال نا ابو الحسن
الفرغانى حدثتنا ام القاسم بنت ابى بكر بن يعقوب عن ابيها نا حاتم وهو ابن عقيل
عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحمانى نا قيس عن الاعمش عن عباية ابن ربعى عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلنى من
خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اليمين وانا
خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب
الميمنة واصحاب المشامة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا من السابقين
ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل الاية
فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا فذلك
قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وعن ابى سلمة عن ابى هريرة قال قالوا
يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة بن
الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل
واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من
قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد ادم على ربى
ولا فخر وفى حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عايشة
عنه عليه السلام اتانى جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا
افضل من محمد ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم وعن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم

الفصل الاول

اتى بالبراق ليلة اسرى به فاستصعب عليه فقال له جبريل ا بمحمد تفعل هذا فما ركبك
احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه عليه السلام لما خلق الله ادم
اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار
في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني
بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه
فيه بقوله من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت
البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا
واهله الغرق تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق وروى عنه عليه السلام
ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر ابن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي
بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي
وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه
وفي رواية اخرى وعرض على امتي فلم يخف على التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى
الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر
العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر
عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نايم اذ جي بمفاتيح خزائن
الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال
عليه السلام اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الآن واني قد اعطيت
مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان
تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي
لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر
بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه عليه السلام قال قال
الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واعطيت
نوحا واعطيت سليمن ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك
اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض

طهورا

طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا
لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك
شفاعتك ولم اخباها لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه
اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب
واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب تسعى بين
يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا
ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه عليه السلام ما من نبي من
الانبياء الا وقد اعطى من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت
وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند
المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وساير معجزات الانبياء ذهبت للحين
ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا
لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما
ذكر فيه سوى هذا اخر باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة
نجباء من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر
وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل
وسلط عليها رسوله والمومنين وانها لا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة
من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني
عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابرهيم و
بشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم
على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال
ان الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد انا فتحنا
لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه الاية وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن
خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله
اخبرنا عن نفسك وقد روى نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك

فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورات امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده على مفرق صدري فالتام وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بهم لوزنها قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان ادم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وفي رواية الاجري فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتهم كل دار فيها احمد او محمد اكراما لهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي

عن ابي

عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس قال على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نموا ورزقوا ورزق عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه السلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي بعبده ليلا من المسجد الحرام الاية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس العذري ثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة

نا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة
ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته
حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت
ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل
اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل من
معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب
بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة
عيسى بن مريم ويحيى ابن زكريا صلى الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة
فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج الى الرابعة فذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي
بخير قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا
بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا
بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابرهيم
مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون
اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان
ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة
فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك
فسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني بلوت بني اسرائيل وخبرتهم
قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى
فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسأله التخفيف
قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل
يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت
له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة

قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي
رضي الله عنه جود ثابت رضي الله عنه هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات احد عنه باصوب
من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي
نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان
وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة
الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة
بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا
مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشق قلبه
تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود في القصتين وفي
ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى
بيت المقدس ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن
ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج
سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست
من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا
الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة
وفيها تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات
وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات
نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا
بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق
ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم
انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت
الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما
يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل
من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة

فامسهم فقال قايل يا محمد هذا ملك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني بالسلام
وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى
مع الملئكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله
خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة
ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام واحد منهم ابرهيم وموسى وعيسى
وداود وسليمن ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه
فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة
للناس بشيرا ونذيرا وانزل على الفرقان فيه تبيان كل شي وجعل امتي خير امة وجعل
امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني
وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم
ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود
وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من
الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى
السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع ابن انس
فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلى على سبيلك وهي
السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير
طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب
في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملئكة
قال فهو قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال
انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود
ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمن ملكا عظيما و
سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من
بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته
وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك خليلا
فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك

هم الاولون

هم الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك
عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من
المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي
لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطى الصلوات الخمس واعطى خواتيم سورة البقرة ٢٥
وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفواد ما راى
الايتين راى جبريل في صورته له ستماية جناح وفي حديث شريك انه راى
موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله
فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى
بالانبياء ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد
ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل
وكري الطاير فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين
ولو شئت لمست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه حلس لاطيا فعرفت
فوقه فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورايت النور الاعظم واذا دوني
الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار
عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه
جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل
اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي
يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك
ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء
الحجاب صدق عبدي انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب
صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن
قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السماء
فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم

الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو
في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ
الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصايرهم وادراكاتهم
بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا
الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراه
من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته
ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورايه ان هذا الملك ما رايته
منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب
في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملئكة وعندها يجدون امر الله لا
يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن
او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل
القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا
الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا
صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب
عن بصره حتى راه والله اعلم **فصل** ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسرا ز
بروحه او جسده ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسرا بالروح وانه رؤيا
منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبيا حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي
عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك وما حكوا عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نايم وقول انس وهو نايم في المسجد الحرام وذكر
القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم
السلف والمسلمين الى انه اسرا بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول
ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك ابن صعصعة
وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن

المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن
جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من
المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح
واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح
بتشريف النبي محمد به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هولاء ولو كان الاسراء
بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه
الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلوته
فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا
قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شاء الله انه اسراء بالجسد
والروح في القصة كلها وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل
عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء
بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل
بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة
ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به
اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره
انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس او في السماء على ما روى غيره وذكر
مجي جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك
فيقول محمد ولقايه الانبيا فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض
الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ
يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت
لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة

المسيب



وراى فيهما ذكره قال ابن عباس هى رؤيا عين راها النبى صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام
وعن الحسن فيه بينا انا جالس فى الحجر جاءنى جبريل فهمزنى بعقبه فقمت فجلست فلم
ار شيئا فعدت لمضجعى فذكر ذلك ثلثا فقال فى الثالثة فاخذ بعضدى فجرنى الى
باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ ما اسرى برسول الله
صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى تلك الليلة صلى العشاء الاخرة وقام بيننا فلما كان
قبل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد
صليت معكم العشاء الاخرة كما رايت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت
فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون فهذا بين فى انه بجسمه وعن ابى بكر من رواية
شداد بن اوس عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به طلبتك يا رسول الله البارحة
فى مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا
بملك قايم معه انية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل
على ظاهرها وعن ابى ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتى وانا بمكة فنزل جبريل
فشرح صدرى ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدى فعرج بى وعن انس
اتيت فانطلقوا بى الى زمزم فشرح صدرى وعن ابى هريرة لقد رايتنى فى الحجر
وقريش تسالنى عن مسراى فسالتنى عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله
قط فرفعه الله لى انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب فى حديث الاسراء
عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها فصل
فى ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرويا التى اريناك الا فتنة للناس فسماها رؤيا قلنا قوله
سبحان الذى اسرى يرده لانه لا يقال فى النوم اسرى وقوله فتنة للناس يويد
انها رؤيا عين واسراء شخص اذ ليس فى الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد
يرى مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة على ان
المفسرين قد اختلفوا فى هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية
وما وقع فى نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها فى الحديث
مناما وقوله فى حديث اخر بين النايم واليقظان وقوله ايضا وهو نايم وقوله

ف

ثم

٢٧

ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نايم او اول
حمله والاسراء به وهو نايم وليس فى الحديث انه كان نايما فى القضية كلها الا ما يدل
عليه ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت
واستيقظ من نوم اخر بعد وصول بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما
كان فى بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما
طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى
من ايات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام
ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى
بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد
مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شىء من
المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون فى وقت صلوته بالانبياء ولعله
كانت له فى هذا الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة
النايم من الاضطجاع ويقويه قوله فى رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا
نايم وربما قال مضطجع وفى رواية هدبة عنه بينا انا فى الحطيم وربما قال فى
الحجر مضطجع وقوله فى الرواية الاخرى بين النايم واليقظان فيكون سمى
هيئته بالنوم لما كانت هيئة النايم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات
من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة فى هذا الحديث انما هى من رواية
شريك عن انس فهى منكرة من روايته اذ شق البطن فى الاحاديث الصحيحة
انما كان فى صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال فى الحديث قبل ان يوحى
والاسراء كان باجماع بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع فى رواية انس
مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من
النبى صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفى كتاب مسلم لعله عن
مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عايشة
ما فقدت جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ
زوجته ولا فى سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف فى الاسراء

متى كان فان الاسرا كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث
بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسرا
لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول
ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل انها حدثت بذلك عن غيرها
فلم يرجح خبرها على غيرها وغيرها يقول خلافها مما وقع نصا في حديث ام هاني
وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني
حديث ام هاني وما ذكرت خديجة وايضا فقد روي في حديث عايشة ما
فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل
الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان يكون رؤياه لربه رؤيا
عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد
ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة
عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر
للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب
العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه **فصل**
ف واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة
حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراتي عليه قال حدثني ابي و
ابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا ثنا القاضي يونس بن مغيث نا ابو الفضل
الصقلي نا ثابت بن قاسم عن ابيه وجده قالا نا عبد الله بن علي نا محمود بن
ادم نا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة يا ام
المومنين هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من
حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات
لا تدركه الابصار الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور
عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما راى جبريل واختلف عنه
وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء
والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينه وروى عطاء عنه راه بقلبه

وعن ابي

٢٨
وعن ابي العالية عنه راه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى
ابن عباس يسالم هل راى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينيه
روي ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابرهيم بالخلة
ومحمدا بالرؤية وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى
ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته
بين موسى ومحمد فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح
الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث
قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان
محمدا قد راى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته
وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه محمد بقلبه وروى شريك عن
ابي ذر في تفسير الاية قال راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي
عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل
رايت ربك قال رايته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر
عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم
يختصم الملا الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله
لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين
هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة
هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا
اقول بحديث ابن عباس بعينه راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد
وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا
بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف في تاويل
الاية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس
وعكرمة راه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله
ابن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطاء في قوله الم نشرح
لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال

ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه راى الله ببصره
وعيني راسه وقال كل اية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها
نبينا وخص من بينهم بتفضيل الروية ووقف بعض شيوخنا في هذا وقال ليس
عليه دليل واضح ولكنه جايز ان يكون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والحق الذي
لا امترى فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جايزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل
على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على
الله وما لا يجوز عليه بل لم يسال الا جايزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من
الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله لن تراني اي لن تطيق ولا تحمل رؤيتي
ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه
ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على
استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن
استدل على منعها بقوله لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الاية واذ
ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها
على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل
لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما
يدركه المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها و
كذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على
العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه
نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التاويلات وتتسلط
الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدره لي
وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا
وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى
في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا للافات
والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا
قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رايت

نحو هذا

٢٩

نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي
بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا
كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا
قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع
في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما
بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما راياه والله اعلم وقد
ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلام
راى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار دكا بادراك خلقه
الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا و
تجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله
بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى راه وقد
وقع لبعض المفسرين في الجبل انه راه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له اذ جعله
دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا
والقول بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم والتنازع
فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث
ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد
مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب
الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الاخر محتمل مشكل فروي نور اني اراه وحكى بعض شيوخنا
انه روي نور اني اراه وفي حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج
بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما
راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله نور اني اراه اي كيف اراه مع حجاب
النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلا
ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله غيره
فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع

قطعي يرده والله الموفق تعالى **فصل** واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته وكلامه
معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى الله
الى جبريل وجبريل الى محمد الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر ابن محمد الصادق قال اوحى اليه
بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء
وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره اخرون وذكر النقاش
عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه عليه السلام في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت
الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث
انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء
حجاب كتكليم موسى وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم
الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل
الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسراء
ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الاية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر
الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات
الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما
يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع
عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى
كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع
مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا
كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع
الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات **فصل**
واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما
السلام او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس
هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما معنى

واحد

واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد فتدلى
اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس
هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع
فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي
وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى
حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر
حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين قال وقال
جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو
من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو
الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى
بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رضي
الله عنه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو
مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي من
ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة
اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه
ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول
واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق
تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى
فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف
المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة
الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتاول
فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته
هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول
فصل
في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي نا ابو الفضل وابو الحسين

نا ابو يعلى السنجي نا ابن محبوب نا الترمذي نا الحسين بن يزيد الكوفي نا عبد السلام
بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا
لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن
انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا
وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم
بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربه ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لولو مكنون
وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق
يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
ادم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت
لواي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد ادم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن
ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا
اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس
قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين
والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم
الانبياء اجرا يوم القيمة وفي حديث اخر ما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة
ثم قال انهما في امتي يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك
واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى ليس بيني وبينه نبي
وانا اول الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن
اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجا الناس اليه في
ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا الناس اليه في حوايجهم فكان حينئذ
سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت

دعوى

دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجا الى محمد جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم
في الاخرة دون دعوى وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيمة
فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن
عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء
وماوه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه
لم يظما ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة تشخب فيه ميزابان من الجنة وعن
ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق ومن رواية حارثة بن وهب كما بين
المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود
ورواه حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن
وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن
ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد
الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب وعايشة واسماء بنتا
ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم فصل في تفضيله بالمحبة والخلة
جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القسم
بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد حدثنا ابو الهيثم ونا حسين بن محمد
الحافظ سماعا عليه نا القاضي ابو الوليد نا محمد بن احمد نا ابو الهيثم نا ابو عبد الله
محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبد الله بن محمد نا ابو عامر نا فليح نا ابو النضر
عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير
ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن
مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع
حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام
موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله
فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك
وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو

كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع
واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء
المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من
قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة انت
حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها
فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل
المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابرهيم
خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل اصله
الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم لانه قصر
حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في
المنجنيق ليرمى في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء
المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها
الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت
اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب
ان لا يواخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من النبوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة
كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة
فاذا تسمية ابرهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما
عليه والانقطاع عن من دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة
الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الاهيته
ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه واستصفاء قلوبهما عن من سواه حتى
لم يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى
قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف
العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلها بعضهم سواء فلا
يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم
قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه

وقد

وقد اطلق المحبة لفاطمة عليها السلام وابنيها واسامة وغيرهما واكثرهم جعل المحبة ارفع
من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابرهيم واصل المحبة الميل الى ما
يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق درجة المخلوق فاما
الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه
بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع
به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى
التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات
لله كما قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر
بعضهم عن الخلة بقوله قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا فاذا ما
نطقت كنت حديثي واذا ما سكت كنت الغليلا فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة
لنبينا عليه السلام بما دلت عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى
بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار
انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما
على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها
بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام
ابو بكر ابن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة
اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا منه يهدي الى ما بعده فمن
ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
والحبيب يصل لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته
في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين
من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الاية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي
فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي
حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي
بلا سوال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفصيل المقامات
والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا **فصل** في تفضيله و
بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا الآية اخبرنا الشيخ
ابو علي الغساني الجياني فيما كتب به الي بخطه نا سراج بن عبد الله القاضي نا ابو محمد
الاصيلي نا ابو زيد وابو احمد قالا نا محمد بن يوسف قال نا محمد بن اسمعيل قال نا اسمعيل
بن ابان نا ابو الاحوص عن ادم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم
القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي
صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى
كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل و
يكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود
وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه
الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام انه قيامه عن يمين
العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب والحسن
وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى
الحديث وعن ابي موسى عنه عليه السلام خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين
الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمنقين ولكنها للمذنبين الخطائين
وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد
ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اريت ما يلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله
ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال
حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة
عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك

واليك لا ملجا ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك
المقام المحمود الذي ذكر الله وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة
فتبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم
ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسالون ادم وغيره بعده
في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن
ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن حسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن
عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام
محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج
الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وفي رواية انس
وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين
والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا
ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة فتدنو الشمس فيبلغ الناس
من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون
ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من
روحه واسكنك جنته واسجد لك ملئكته وعلمك اسماء كل شي اشفع لنا عند
ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا
شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس
ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة
دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله فياتون ابرهيم
فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي
نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التوراة

وكلمه وقربه نجيا قال فياتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التى اصاب وقتله
النفس نفسى نفسى ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فياتون عيسى فيقول لست
لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها
فانطلق فاستاذن على ربى فيوذن لى فاذا رايته وقعت ساجدا وفى رواية فاتى تحت
العرش فاخر ساجدا وفى رواية فاقوم بين يديه فاحمد بمحامد لا اقدر عليها الا ان
يلهمنيها الله وفى رواية فيفتح الله على من محامده وحسن الثنا عليه شيئا لم يفتحه
على احد قبلى قال فى رواية ابى هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع
تشفع فارفع راسى فاقول يا رب امتى يا رب امتى فيقول ادخل فى امتك من لا حساب
عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوا ذلك من الابواب ولم يذكر
فى رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع راسك وقل
يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه
مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربى
فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل
ثم ارجع وذكر ما تقدم وقال فيه من كان فى قلبه ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل
وذكر فى المرة الرابعة فيقال لى ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع واسال تعطه
فيقول يا رب ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتى وكبريائى
وعظمتى وجبريائى لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه
قال فلا ادرى فى الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقى فى النار الا من حبسه القران اى
وجب عليه الخلود وعن ابى بكر وعقبة بن عامر وابى سعيد وحذيفة مثله قال فياتون
محمدا فيوذن له وتاتى الامانة والرحم فيقومان جنبتى الصراط وذكر فى رواية
ابى مالك عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق
ثم كالريح والطير وشدة الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم
حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث وفى رواية ابى هريرة فاكون اول من
يجيز وعن ابن عباس عنه عليه السلام يوضع للانبيا منابر يجلسون عليها ويبقى
منبرى لا اجلس عليه قايما بين يدى ربى منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد

اذا صنع

اذا اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة
برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد
امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك فى امتك من نقمة
ومن طريق زياد النميرى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق
الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعى لوا الحمد يوم
القيامة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتى فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول
محمد فيفتح لى فيستقبلنى الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية
انيس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما فى الارض
من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار ان شفاعته عليه السلام وتوسله
المحمود من اول الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر
ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة
الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث عن ابى هريرة وحذيفة
وهذا الحديث اتقن فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم فى الحديث
ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة
ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفى الحديث المنتشر الصحيح
لكل نبى دعوة يدعوا بها واختبات دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة قال اهل العلم معناه
دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبى منهم من دعوة مستجابة
ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف
وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاوه يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد
وابو صالح عن ابى هريرة فى هذا الحديث لكل نبى دعوة دعا بها فى امته فاستجيب له وانى
اريد ان اوخر دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة وفى رواية ابى صالح لكل نبى دعوة
مستجابة فتعجل كل نبى دعوته ونحوه فى رواية ابى زرعة عن ابى هريرة وعن انس
مثل رواية ابن زياد عن ابى هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة
مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين
والدنيا اعطى بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة
المحن وعظيم السول والرغبة جزاه الله احسن ما جزا نبينا عن امته وصلى عليه وسلم كثيرا

٤٢

فى تفضيله فى الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا
القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراتى عليه
قالا نا ابو على الغسانى نا النمرى نا ابن عبد المؤمن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا
محمد بن مسلمة نا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابى ايوب عن كعب بن علقمة
عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصى انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلى الله عليه عشرا
ثم سلوا الله تعالى لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وارجوا
ان اكون انا هو فمن سال الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفى حديث اخر عن ابى هريرة
الوسيلة اعلى درجة فى الجنة وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير فى الجنة
اذ عرض لى نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذى اعطاكه
الله قال ثم ضرب بيده الى طينه فاستخرج مسكا وعن عايشة وعبد الله بن عمرو مثله
قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وفى رواية
عنه فاذا هو يجرى ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتى وذكر حديث الحوض
ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذى اعطاه الله اياه
وقال سعيد بن جبير والنهر الذى فى الجنة من الخير الكثير الذى اعطاه وعن حذيفة
فيما ذكر عليه السلام عن ربه واعطانى الكوثر نهر من الجنة يسيل فى حوضى
وعن ابن عباس فى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ
ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفى رواية اخرى وفيه ما ينبغى له من الازواج
والخدم **فصل** فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع الامة
كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل
كقوله فيما حدثناه الاسدى قال نا السمرقندى نا الفارسى نا الجلودى نا ابن
سفيان نا مسلم نا ابن مثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن قتادة سمعت ابا
العالية يقول حدثنى ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعنى ابن عباس عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال ما ينبغى لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفى غير هذا
الطريق عن ابى هريرة قال يعنى الله ما ينبغى لعبدى الحديث وفى حديث ابى هريرة فى اليهودى

الذى

الذى قال والذى اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال يقول ذلك
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال
لا تفضلوا بين الانبياء وفى رواية لا تخيرونى على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول
ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابى هريرة ومن قال انا خير من يونس بن
متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفى
حديثه الاخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابرهيم فاعلم ان للعلماء فى
هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد
ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب و
كذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضى تفضيله هو وانما هو فى الظاهر
كف عن التفضيل الوجه الثانى انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفى
التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث الا يفضل بينهم تفضيلا
يودى الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما فى جهة يونس عليه السلام اذ اخبر
الله عنه بما اخبر لئلا يقع فى نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط
من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون فظن ان لن نقدر
عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده اذ ذهب مغاضبا خطيئته بذلك الوجه
الرابع منع التفضيل فى حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد
اذ هى شىء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل فى زيادة الاحوال والخصوص
والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل وانما
التفاضل بامور اخر زايدة عليها وكذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم ومنهم
من رفع مكانا عليا ومن اوتى الحكم صبيا واوتى بعضهم الزبر وبعضهم
البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا فى الدنيا وذلك
بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته
ازكى واكثر او يكون فى ذاته افضل واظهر وفضله فى ذاته راجع الى ما

حصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام اوخلة اورؤية اوماشاء الله من
الطافه وتحقق ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى
الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته
اوقدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه
صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو
ان يكون انا راجعا الى القايل نفسه اي لايظن احد وان بلغ من الزكاء
والعصمة والطهارة مابلغ انه خير من يونس لاجل ماحكى الله عنه فان درجة
النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردلة ولا
ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله فقد بان لك
الغرض وسقط ماحررناه شبهة المعترض فصل في اسمائه عليه
السلام وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد
الفقيه قال حدثنا ابو عمر الحافظ قال نا سعيد بن نصر نا قاسم بن
اصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن
جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد
فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناه وطوى اثناء ذكره
عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل
مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد و
اكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء
الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويتشهر في ذلك العرصات بصفة الحمد
ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون و
الاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام
مالم يعط غيره وسماه في كتب انبيايه بالحامدين فحقيق ان يسمى محمدا

واحمد

واحمد ثم في هذين الاسمين من عجايب خصايصه وبدايع اياته فن اخر هو ان الله
جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به
الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد ولا يدعى به مدعو قبله حتى
لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من
العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده ان نبيا
يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناهم بذلك رجاء ان يكون
احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح
الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن
سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لاسابع لهم
ويقال اول من سمي محمدا ابن سفيان واليمن تقول بل محمد ابن اليحمد من
الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب
يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع
فيهما واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون
محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه
ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على
الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيات من اتبعه
وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي اي على زماني وعهدي اي
ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره من
الانبياء وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله
لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي
العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة
اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه
يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن
محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا

رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم
والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه
بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود
عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم
بمعناه وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القران سبعة اسماء محمد واحمد
ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان
عليه السلام يسمي لنا نفسه فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبي
التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله ومعنى
المقفى معنى العاقب واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة فقد قال الله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال في صفة امته
انها امة مرحومة وقد قال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين
ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها
عليه السلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية
نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة و
روى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم
وروى الحربي في حديثه عليه السلام انه قال اتاني ملك فقال انت قثم
اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في آل بيته عليه السلام
معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته في القران عدة كثيرة
سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر
والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف
الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة العالمين ونعمة الله و
العروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي

الامي

الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله
المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة
شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القسم والحبيب ورسول
رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والظاهر والمهيمن
والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد ادم وسيد المرسلين
وامام المتقين وقايد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن
وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب
وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم و
العلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه في الكتب المتوكل
ومقيم السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب
البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذماذ
ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم
الذي ختم الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية
مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روي ذلك عن ابن سيرين و
معنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من
حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي
كان يمسكه عليه السلام وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف
بها فهي في اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث
الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة
ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه و
سماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله وكانت كنيته المشهورة
ابا القسم وروي عن انس انه لما ولد له ابرهيم جاءه جبريل فقال له السلام
عليك يا ابراهيم فصل في تشريف الله تعالى له باسمائه بما سماه به من اسمائه الحسنى
ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ما احرى هذا الفصل

بفصول الباب الاول لا بخلطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها
لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج
جوهره والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فراينا ان نضيفه
اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة
خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق واسمعيل بعليم وحليم و
ابرهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكليم و
قوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد
كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمد نبينا
صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه
بعدة كثيرة اجتمع لنا جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ
لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين
وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما
علم منها وحققه يتم النعمة باتمام ما لم يظهره لنا الان ويفتح غلقه فمن
اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده
ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى
النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في
زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى
نحو هذا حسان بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود
وهذا محمد ومن اسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب
وسماه في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن اسمائه
الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اي
البين امره والاهيته باد وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده
امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال
حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل اني انا النذير المبين وقال
قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد

وقيل

وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو
بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته والمبين عن الله ما بعثه
به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور
اي خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه
نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القران وقال فيه وسراجا منيرا
سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به
ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه
شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول
ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث
المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل
جبريل وقال عليه السلام انا اكرم ولد ادم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام ومن
اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم
وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة
عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر
وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار
فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه
في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو
منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى في القران جبرية التكبر التي لا تليق به
فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم
بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسال به خبيرا قال القاضي بكر بن
العلاء المامور بالسوال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي عليه السلام
وقال غيره بل السائل النبي والمسؤول الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم
على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له
في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب
الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون

٤٥

ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسما الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى ثنايه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدى لهداية الامة او المبدا المقدم فى الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث ومن اسمائه تعالى فى الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثنى على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اى معترفا بنعم ربى عارفا بقدر ذلك مثيبا عليه مجهدا نفسى فى الزيادة من ذلك لقوله ان شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقى بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله بذلك فقال ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق فى الحديث الماثور وورد فى الحديث ايضا اسمه عليه السلام بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى الولى والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام انا ولى كل مومن وقال الله تعالى النبى اولى بالمومنين وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلى مولاه ومن اسمائه تعالى العفو

ومعناه

ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه فى القران والتوراة وامره بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح فقال له جبريل وقد سال عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال فى التوراة والانجيل فى الحديث المشهور فى صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادى وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل فى تفسير طه انه يا طاهر يا هادى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المومن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المومن فى حقه تعالى المصدق وعده من عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المومنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المومن عباده فى الدنيا من ظلمه والمومنين فى الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم فى الدعاء امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبى صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن وقد سماه الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس فى شعره مهيمنا فى قوله ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبى والامام ابو القسم القشيرى وقال تعالى يومن بالله ويومن للمومنين اى يصدق وقال انا امنة لاصحابى فهذا بمعنى المومن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدث وسمى بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادى المقدس وروح القدس ووقع فى كتب الانبياء فى اسمائه عليه السلام المقدس اى المطهر من الذنوب كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذى لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اى الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة

فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه
تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه
تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله
عليه وسلم وشرف وكرم   قال القاضي ابو الفضل وفقه الله وها انا اذكر نكتة
اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف
الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان
يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا
من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما
في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات
كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض
وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله ليس كمثله شيء و
لله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات
ولا معطلة عن الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال
ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ
وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة
قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القسم
القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل
التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه
فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة
ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه
باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني
من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان الى النفي المحض فهو معطل وان
قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون
المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا
مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام

بحب

الباب الرابع

عجيب نفيس محقق والفصل الاخير تفسير لقوله ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسال
عما يفعل وهم يسالون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة
والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع

فيما اظهره الله تعالى
على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات قال القاضي ابو الفضل
حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته
فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر
شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده بل الفناء لاهل
ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل
على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع
او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف
ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله
وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد
كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما
باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته
لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله قال نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل ابن خيرون عن ابي يعلى
البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي نا محمد بن بشار
نا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف
بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي
رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله
وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده
ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال اعد علي كلماتك هؤلاء

٤٧

فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا
يقال له طارق فاخبرانه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شي
تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه
وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا
ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا
فجاء رجل بتمر فقال انا رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى
تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير
الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شي الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر
ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال نفطويه
في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهذا مثل ضربه الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال
ابن رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر وقد ان
نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القران وما فيه من برهان
ودلالة **فصل** اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده
والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء
كما حكي عن سنته في بعض الانبيا وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون
تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم
ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على
صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي
من النبي قايم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه
فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده
مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذ من
النبا وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه

على غيبه

على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا
عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من
لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة
نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه موتلفان واما الرسول فهو
المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له
بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس
ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ والزمت الامة
اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء
واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا
ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي
هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز
درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام
كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا
لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او
نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتداء
ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي
عليه الجما الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل ادم واخرهم
محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر رضه ان الانبيا مائة الف واربعة و
عشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر اولهم ادم فقد بان لك
معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا
للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع
فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات
وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي
الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا

اي او ماء ورمز وقيل كتب ومنه قوله الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي
السر والاخفا ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اي
القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
اي يلقيه في قلبه دون واسطة **فصل** اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت
به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو ف
من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم
عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم ونحوه وضرب هو
خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحيا الموتى وقلب العصا حية
واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر مما لا
يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه
من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيزا له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى
الله عليه وسلم ودلايل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل
معجزة واجهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها
ضبط فان واحدا منها وهو القران لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين
ولا اكثر لان النبي قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور
انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها
نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى
الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية
ولا خلاف بمجيء النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا
معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين
في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة
ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا
ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه السلام ايات و
خوارق عادات فان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها

فلا مرية

٤٩

فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه
جرت على يديه عجايب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا
كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل
هذا ايضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود
حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل
واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر
بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ
مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه
العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار
كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد
والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع
الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال
القاضي ابو الفضل وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات
الماثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقران
نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء
برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف
اخرق منحل عرا الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك
على قلوب ضعفاء المومنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه
وكذلك قصة الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير
عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة
عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان
ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة
بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين
ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما
حكاه ولا انكار عما ذكر عنهم انهم راوه كما راه فسكوت الساكت

منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في
كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم
وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن
والسير وحروف القران وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم
فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار
التي لا اصل لها وينسب على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس
واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من
الاخبار والاراجيف الطارية واعلام نبينا هذه الواردة من طريق
الاخبار لا تزداد مع مرور الازمان الا ظهورا ومع تداول الفرق و
كثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد
الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا والمطاعن عليها الا حسرة
وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم
من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به
من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي
اوجب قول القايل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد
الاقلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف
والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب
في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان
يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس
يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة
والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا
يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه
ايجاب قراءة ام القران في الصلاة للمنفرد والامام واجزاء النية في
اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية كل
ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص

في القتل

في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي
في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم
ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا
احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله

فصل

في اعجاز القران اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه
من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها
حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة
عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا
من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم
يوت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم
غريزة وقوة ياتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في
المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون
ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فياتون من ذلك بالسحر
الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللالي فيخدعون الالباب ويذللون
الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجريون الجبان ويبسطون يد الجعد
البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ
الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري
ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف
في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة
الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام
طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من
كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا
في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثير وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم
الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول

ونظلفر وتظافر واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر سجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عليها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملا اجمعين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله وان لم تفعلوا ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران الاية وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا اتبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم الهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم اذ ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرأ فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا فقال

اشهد

اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على راسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع قوما من اسرى المسلمين يقرؤن اية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت اويعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا النوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الاي بل اكثر القران حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتاملها من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصق في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس

ف

من ترديدها ولا معاناة لمعادها **فصل** الوجه الثاني من اعجازه
صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب و
مناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليها ووقفت مقاطع اية وانتهت
فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظيره ولا استطاع احد مماثلة
شيء منه بل حارت عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى
مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه
صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرا عليه القران رق فجاءه ابو جهل
منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه
الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور
الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا
فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه
قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول
شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه و
مبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر
ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا
الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين
المرء وبنيه وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته
فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد
ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القران
يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقراته وقلته والله
لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر
ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي
ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس
لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى
مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي قلت فما يقول الناس قال يقولون

شاعر

شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته
على اقراء الشعر فلم يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق
وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد
من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما
نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج
عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين
وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى
على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم
بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه
ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة السنة في وجه
عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه و
حسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في
مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها
كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن
الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه
ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به
جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة
عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع
وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس
من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا
في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار
والذل وكانوا من شموخ الانف واباءة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك
اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من
قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام
الخصم لديهم وهم من هم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام

دما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء
نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من
معاني مناهم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل
ابلسوا فما يئسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه فصل
الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم
يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله
ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض الاية وقوله اذا جاء نصر الله الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم
فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات عليه السلام وفي
بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض ومكن فيها
دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الارض
فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل
محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم
اليوم نيفا على خمس مائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة
من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم
الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله هو الذي
ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان
كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم
وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب وقوله
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا
ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله

انا كفيناك

انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله
كفاه اياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله
والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار
بذلك معروفة صحيحة فصل الوجه الرابع ما انبأ به من اخبار القرون السالفة
والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من
احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم
على وجهه وياتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله
بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا
مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه
صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القران ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع
قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان
وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف
ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا
لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن
واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه
عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام
وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب
الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن
طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل
وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك
انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده
وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت
في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى
اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين

الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى اعضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما يجحده
ومتواقح يلقى على فضيحته من كتابه بيده ولم يوثر ان واحدا منهم اظهر خلاق قوله
من كتبه ولا ابدا صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الايتين **فصل** هذه ف
الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه
من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله
خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة
الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد
منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني
يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم
يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت
بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم لانه لا يوجد منهم جماعة
ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد
لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة
نجران وابو الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا
منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه
ما لاعن قوم ما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه
الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها **فصل** ف
ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم
عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا
قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن
فلا تزال روعته وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه

اليه

اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية ويدل على ان هذا شئ
خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر
بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد
اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن به
ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير ابن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا
في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون الى قوله
المصيطرون كاد قلبي يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الاسلام في قلبي وعن
عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم
فصلت اياته الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي
صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرا
وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله
عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه
فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت
ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة
كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرا
وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو
من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس
في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها
وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة
فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا ف
مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء
اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته
على ما كان عليه اليوم مدة خمس مائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا

هذا بحجة قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة
علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير
والمعادى للشرع عتيد فما منهم من اتى بشئ يؤثر فى معارضته ولا الف كلمتين فى
مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه فى
ذلك الا بزند شحيح بل المانور عن كل من رام ذلك القاؤه فى العجز بيديه
والنكوص على عقبيه **فصل** وقد عد جماعة من الائمة ومقلدى الامة
فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب
على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره
من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا
اعيد وكتابنا يستلذ به فى الخلوات ويونس بتلاوته فى الازمات وسواه
من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون
بتلك اللحون تنشيطهم على قراتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
القران بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل
ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا يزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة
هو الذى لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى
الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم
قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم
ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق
الحجج والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة
المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها
كقوله اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها
الذى انشاها اول مرة ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم
السير وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن
الاداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا فى الكتاب من شئ ونزلنا
اليك الكتاب تبيانا لكل شئ ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل

وقال عليه السلام ان الله انزل هذا القران امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا
مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه
طول الرد ولا تنقضى عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به
عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى
الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر
الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن
تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجايبه
ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه
نبأ الاولين والاخرين وفى الحديث قال الله لمحمد عليه السلام انى منزل عليك توراة
حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة
وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى
ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس
وهدى الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما فى الكتب قبله التى
الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج
بنظم القران وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده
ووعيده فالتالى له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها ان جعله فى حيز المنظوم الذى لم يعهد ولم يكن فى حيز المنثور لان المنظوم
اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع فى الاذان واحلى على الافهام فالناس
اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه
على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها
الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان
فى اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ايتلاف انواعها والتيام
اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف
معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد
واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوايده

دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته و
لا تنجزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتأمل اول ص وما جمع فيها من اخبار
الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد
وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم
وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله
لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته
بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا في اوجز كلام
واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير
مما ذكرناه انه ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الايمة لم نذكرها اكثرها داخل
في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون
البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه و
حقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص
القران وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق **فصل** في انشقاق القمر
وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن اياته
واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا
القاضي سراج بن عبد الله نا الاصيلي نا المروزي نا الفربري حدثنا البخاري نا مسدد
نا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابرهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق
الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي
القمر ورواه عنه مسروق وانه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة
فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا
من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا فسالوهم فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك
وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق

حتى

حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني
الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة عن
عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن
عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر
ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم
اية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية
معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة ورواه عن
جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عتبة
ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران
الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض
مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل العلم اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن
اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز
تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل
الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من
مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات
في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها
الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس
بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور
السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به وكذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا
في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها
من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها
وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في
طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها

طلعت بعدما غربت و وقفت على الجبال و الارض و ذلك بالصهبا في خيبر قال و
هذان الحديثان ثابتان و رواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان
يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة
و روى يونس بن بكير في زيادة المغازي رواية عن ابي اسحق لما اسري برسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعا
فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار و لم تجي فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس **فصل** في نبع الماء
من بين اصابعه وتكثيره ببركته اما الاحاديث في هذا فكثيرة جداً روى حديث
نبع الماء من اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود
نا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراتي عليه نا القاضي عيسى بن سهل نا
ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو عمر بن الفخار حدثنا ابو عيسى نا يحيى نا مالك عن اسحق
بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت
صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال
فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضؤا من عند اخرهم و رواه
ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء
ثلاث مائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق و رواه ايضا حميد وثابت
والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت وعنه ايضا
وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا
من معه فضل ماء فاتي بماء في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم
الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس
نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة
فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة

الف

الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية
وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر
غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء
وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله
عليه وسلم فغمزه وتكلم بشي لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الراكب فاتيت
بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة
وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين
اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات وامر الناس بالاستقاء
فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملاى وعن الشعبي اتي النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها
في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن
ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه
المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا
اسرع شي الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن
لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور
الجماء الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم
فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له **فصل** ومما يشبه
هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وابتعاثه بمسه ودعوته ما روى مالك
في الموطا عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض
بشي من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شي ثم غسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس
قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك
يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملى جنانا وفي حديث البراء
وسلمة بن الاكوع وحديثه في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبيرها لا

تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة
فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي
غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية
فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى
ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله عليه وسلم
العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله
اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل الي انها
كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عمران بن حصين
وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى
الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عندما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا
طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون
الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلث ماية وفي كتاب
مسلم انه قال لابي قتادة احفظ على ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه
ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش
في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة مكان
كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه
وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في
المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا
الا ملؤه قال عمران ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة
من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا
ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال نبي الله صلى الله
عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح
فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة ماية وفي حديث عمر في جيش العسرة
وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه

فرغب

فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى
قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من انية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن
شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت
وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء
فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء
وما جانسه **فصل** ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفين
نا مسلم بن الحجاج نا سلمة ابن شبيب نا الحسن بن اعين نا معقل عن ابي الزبير
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل
منه وامراته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم
منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين
رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء
الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع
شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط
كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة
وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع
ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين
فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم احد حتى اسلم
وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب
اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم
قوم ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي
سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد
بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير

ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع
وابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكر مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض
مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم
الذي اتا بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم
دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه وبقي منه وعن ابي هريرة
امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر
الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني
عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع
لهم مدًا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا
وبقي كانه لم يشرب وقال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره
ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلا البيت والحجرة وقدم اليهم
تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل
القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا
او اثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم
كانوا زهاء ثلاث مائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت
كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي ان فاطمة طبخت
قدرا لغدائهما ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها
فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له عليه السلام ولعلي ثم لهما ثم رفعت
القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب ان يزود
اربع مائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب
فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين
الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه
قال اربع مائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد موته
وقد كان بذل الغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف دينهم

فجاءه

فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر في اصولها فمشى
فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية
مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة اصاب الناس
مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود
قال فاتيته به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به
وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت به
واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب
مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه
ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد
لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن
فيهم كنت احق ان اصيب شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه
وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذ الاخر حتى روي
جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب
فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق
ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن
عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة
فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل
فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر
خبره الدولابي ومن حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح
جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة
رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه
وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم

فنضبعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته
الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي
صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام
فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري
حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح
وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم
من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة لا يمكن التحدث عنها
الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر **فصل** في كلام الشجر وشهادتها له
بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن
ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القسم البغوي ثنا احمد بن عمران
الاخنسي ثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد
قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه
الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه
فاستشهدها ثلثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سال
اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك
قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها
ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع
الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك فاستوت فقال الاعرابي
ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة
ان تسجد لزوجها قال فائذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي
الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقضي

يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال
انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر
انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله
فالتامتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت
بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق
فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة
بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني مكانا لحاجة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل
او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت
ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة
يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يتفرقن فوالذي
نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديين
فانضما وفي رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن
سيابة ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة
جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت
ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا
له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال
هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول
او نحوه قال القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن

مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا
على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت
في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة
الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له حتى جاز بينها و
بقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك
حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه حزينا اتحب ان
اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء
الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال
مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل
قال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله
وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر
ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ركانه مثل هذه الاية في شجرة
دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن
انه عليه السلام شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وساله اية يعلم بها
الا مخافة عليه فاوحى اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها
ياتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه
ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت الا مخافة
علي ونحو منه عن عمر وقال فيه ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها
وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي
ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني
رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد
الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح فصل في قصة
حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه
مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله

بن عباس

بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة
والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي
وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع
نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع
له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس
حتى ارتج المسجد بخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به وفي
رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع
يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من
الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة
تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن
تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس وفي بعض
الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث
ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي
فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد
الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك
الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك
خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك
ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة
فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقا على دار الفنا فكان
الحسن اذا احدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه
عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو
نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه

عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحق ابن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر
نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد وعمار
ابن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعيد عن
سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه
والطفيل ابن ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فهذا
حديث كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا و
غيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم يذكره وبمن دون هذا العدد
يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب

فصل

ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى
التيمي نا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط المهلب ابو القسم نا ابو
الحسن القابسي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا محمد بن المثنى
نا ابو احمد الزبيري قال نا اسرائيل عن منصور عن ابرهيم عن علقمة
عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه
الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام
ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من
حصا فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم
صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو
ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال
له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام اني لاعرف حجرا
بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة لما استقبلني جبريل بالرسالة
جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن
صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته
فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه

مرض

مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله عليه وسلم
فسبح وعن انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف
بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة
في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي او صديق او شهيد
والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن
وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة
وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله
فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول الله
وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره
ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف
المنبر حتى قلنا لنخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلاث
مائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها
ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم
الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في
حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا
مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه
الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك فقال انه لم يبق
شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال و
اقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء
الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه

فصل

في الايات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ نا ابي نا القاضي

ثونس نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم عن ابيه وجده قالا نا ابو العلاء
احمد بن عمران نا محمد بن فضيل نا يونس بن عمرو نا مجاهد عن عايشة قالت
كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت
مكانه فلم يجي ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب
وروي عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء
اعرابي قد صاد ضبا فقال ما هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى
لا امنت بك او يومن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا
لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء
عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال
فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب
من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذيب المشهور عن ابي سعيد
الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض الذيب بشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى
الذيب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذيب
يتكلم بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين
يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه
طول وروى حديث الذيب عن ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة
فقال الذيب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط
اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه
ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله
قال الراعي من لي بغنمي قال الذيب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه
غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها
كذلك وذبح للذيب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث

بها ومكلم الذيب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة ايضا
وسبب اسلامه بمثل حديث سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى
لابي سفين بن حرب وصفوان بن امية مع ذيب وجداه اخذ ظبيا فدخل
الظبي الحرم فانصرف الذيب فعجبا من ذلك فقال الذيب اعجب من ذلك
محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفين و
اللات والعزى لين ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل هذا
الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام
ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طاير
سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن
جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون
خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب
وجوهها فان الله سيودي عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت
كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايط انصاري
وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق
بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايطا فجاء بعير
فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى
بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحايط الا شد عليه الجمل فلما دخل
عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال
ما بين السماء والارض شيء لا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن
عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر اخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم عن
شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى
كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه
في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي

صلى الله عليه وسلم وتونيفها له ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب
الوحوش عنها ونداهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته
حتى ماتت ذكره الاسفرائني وروى ابن وهب ~~وانها لم تاكل ولم~~
ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة
وروى عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي فسترته وامر
حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث اخر وان العنكبوت نسجت
على بابه فلما اتى الطالبون له وراوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن
الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم وعن عبد الله بن
قرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع
لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدا وعن ام سلمة كان
النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما
حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل
فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم
فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول
الله لك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدوا في
الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا
الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر
في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج
الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل
يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه السلام باذن شاة
لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما
وبقي ذلك الاثر فيها وما روي عن ابرهيم بن حماد بسنده من كلام

الحمار

٦٣

الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن سنان فسماه النبي
صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب
عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم
لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي
شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها
ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره
وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة
فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند قال لرافع املكها
وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره
وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب
بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلاة في بعض
اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله
قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا
ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك
فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان
القوم الذي بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه
بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة **فصل** في احياء الموتى
وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا
ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن
رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا
واذنا قالوا انا ابو علي الحافظ نا ابو عمر الحافظ نا ابو زيد عبد الرحمن
بن يحيى نا احمد بن سعيد نا ابن الاعرابي نا ابو داود نا وهب بن
بقية عن واحد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة
ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها
فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم

ف

فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك
على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت
ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث
ليس وفيه قال اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا
نقتلها قال لا وكذلك عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما
عرض لها ورواه ايضا جابر ابن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه
الذراع قال لم يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها
مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن فقال اني مسمومة
وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث
الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في وجعه الذي مات منه ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالان
اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة
وقال ابن اسحق اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل
اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الرواية في ذلك عن ابي
هريرة وانس وجابر وفي رواية ابن عباس انه دفعها لاولياء
بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله الذي سحره
قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروى عنه انه قتله
وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في
اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله
فلم تضر منا احدا قال القاضي ابو الفضل وقد خرج حديث الشاة
المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور
واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو
كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجرة وحروف

واصوات

٦٤

واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها
عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابو بكر رحمهما الله
واخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكي
هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم يجعل
الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها
مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي
فلا بد من شرط الحياة لها ان لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا
للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي
والحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع
وقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها
من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم
بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية
شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر
والموفق الله وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى
الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول
الله وروى عن معرض ابن معيقيب رايت من النبي صلى الله عليه وسلم
عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة
ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى
شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة
الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له
في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي
باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك
قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت
الله خيرا لي منهما وعن انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز

عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت
تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك ان تعينني على كل شدة فلا تحملني
على هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
وروي عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن
قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه
القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان
البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان
زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه
بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا
فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان
ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان
ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا
كما كان

فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات اخبرنا
ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراءة على غيره قال نا ابو
اسحق الحبال قال نا ابو محمد بن النحاس نا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن
زياد البكائي عن محمد بن اسحق نا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة
ذكرهم بقصة احد بطولها قال وقاتلوا قال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة
يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة وعاصم بن عمر بن قتادة
ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة
وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب
علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول
الله ادع الله ان يكشف عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين

ثم قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك
الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقال كشف الله عن بصره
وروي ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها
متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر
العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان
لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته
يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين وروى كلثوم بن الحصين يوم احد
في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد
الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا
ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن
معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت
وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن
فرسه واشتكى علي بن ابي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع
ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن
روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء
لا يتكلم فاتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه
ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس
جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه
مثل الجرو الاسود فسعى وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب
وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت في كف شرحبيل

الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي عليه السلام
فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما
وهو ياكل قديدا فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد
من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسال شيئا فيمنعه فلما استقر
في جوفها القي عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء منها

فصل في اجابة دعائه وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي
صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة
وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل
ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراتي عليه
نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي
نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن ابي الاسود نا
حرمي نا شعبة عن قتادة عن انس قال قالت امي يا رسول الله خادمك
انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته ومن رواية
عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على
نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد
دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه
دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت
ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس
حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا
وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف
وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه
العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبع مائة بعير
وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها
ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص
ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر ا

او ابي

او ابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم
عمر واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسال عمر الدعاء فدعا فجاءت
سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه
المطر فدعا فصحوا وقال لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك له في شعره
وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا
يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا
اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا
ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر و
ترجمان القران ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى
شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا
بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى
اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه
وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاءه بها اعصار
ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى
الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء
ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته الا يجيعها قالت فما جعت
بعد وسالة الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين
عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان
يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته
قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق ملكه
فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي
قطع عليه الصلاة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل رآه ياكل بشماله
كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه ودعا
لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال لامراة
اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في

دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم
وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن أبي العاص
وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه فقال كذلك كن
فلم يزل يختلج إلى أن مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته
الأرض ثم ووري فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة
الصد جانب الوادي وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى
الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم إن كان
كاذبا فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية برجلها أي رافعة وهذا الباب
أكثر من أن يحاط به **فصل** في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما
لمسه أو باشره أخبرنا أحمد بن محمد نا أبو ذر الهروي إجازة و نا القاضي أبو
علي سماعا والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا نا أبو
الوليد القاضي نا أبو ذر نا أبو محمد وأبو إسحق وأبو الهيثم نا الفربري
نا البخاري نا يزيد بن زريع نا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل المدينة
فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف أو به
قطاف وقال غيره يبطأ فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى
ونخس جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل
ذلك بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها
نشاطا وباع من بطنها باثني عشر ألفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده
هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم
يشهد بها قتالا إلا رزق النصر وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت
جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى
نستشفي بها وحدثنا أبو علي عن شيخه أبي القسم بن المأمون قال كانت عندنا
قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون
بها وأخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس
فأخذته فيها الأكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في

بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب
منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان
وماؤه طيب فطاب وأتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك وأعطى
الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لأم مالك
عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم ألا تعصرها
ثم دفعها فإذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد
إليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم أدمها حتى عصرتها وكان يتفل في أفواه
الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه إلى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه
لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم
وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها له بيده إلا واحدة
غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه
وسلم وردها فأخذت وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة
فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه مثل بيضة
الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية
وبقي عنده مثل ما أعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا
جعت وريها إذا عطشت وبردها إذا ظمئت وأعطى قتادة بن النعمان وصلى
معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيء لك من
بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه
حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد
السواد فضربه حتى خرج ودفع لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين
انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة أبيض
شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد
في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفع لعبد الله بن
جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته

في درور الشياه الحوايل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن
ثور وشاة انس وغنم حليمة وضعفه وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود و
كانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ما بعد
اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه
من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن
ثمانين فما شاب وروى مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السايب بن يزيد
ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عايذ بن عمرو
وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس
قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر
وروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه اخر فما زال على
وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في
وجهه في المراة ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة
يوتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف
النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة
من ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما بها ومسح على راس صبي به عاهة
فبرا واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبروا
واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرا
وعن طاوس لم يوت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا
ذهب المس المجنون ومج في دلو من بير ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ
قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه
فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره
ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى
عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت

على الخيل

ف

٦٨

على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح راس عبد الرحمن بن زيد الخطاب
وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما

فصل

ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا
الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته
المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق
معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري
اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر نا ابو علي التستري نا ابو عمر الهاشمي
نا اللولوي نا ابو داود نا عثمان بن ابي شيبة نا جرير عن الاعمش عن ابي
وايل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا
يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
قد علمه اصحابي هاولاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل
وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي
ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد فتنة الى ان
تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثماية فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم
ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طاير جناحيه
في السماء الا ذكر لنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والايمة ما اعلم به اصحابه
صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس
واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة
لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى ويفتح خيبر على يدي علي في غد يومه وما
يفتح الله على امته من الدنيا ويوتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى
وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل
من قبلهم وافتراقهم على ثلث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانهم
سيكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين
يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر
الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم

بنات فارس والروم ورد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم
وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا
كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر
ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل
وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال
ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فارى
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها
فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند
اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراه وذلك ما لم يملكه
امة من الامم ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك و
قوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة
وذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب
وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب
كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر من رواية ابي امامة لا تزال
طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله
وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك
بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا
وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا
وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل
علي وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه
وانه قسيم النار يدخل اولياءه الجنة واعداءه النار فكان فيمن
عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض
كفروه وقال بقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وان الله عسى ان يلبسه
قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله
وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب

الحوأب

الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت
فنبحت على عائشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة
الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس
منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه
من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب
وحذيفة اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسال عن بعض فكان سمرة اخرهم موتا
هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه
فاني رايت الملائكة تغسله فسالوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل
قال ابو سعيد ووجدنا راسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا
الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فراوهما
الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به و
انذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلثون ثم ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن
بن علي وقال ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا
ثم يكون عتوا وجبروة وفسادا في الامة واخبر بشان اويس القرني
بامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في امته ثلثون كذابا فيهم
اربع نسوة وفي حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا اخرهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيئكم
ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل
من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك
قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون
وقال لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش
قال ابو هريرة راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور
القدرية والرافضة وسب اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا
كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم تبق لهم جماعة وانهم سيلقون
بعده اثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق

ويرى رعاء الغنم ورؤوس الناس والعراة الحفاة يتباهون في البنيان وان تلد الامة ربتها
وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان
الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في
البحر كالملوك على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء
فارس وهاجت ريح في غزاة فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة و
جدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو
هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة وعلم
بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي وناقته
حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية
عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي
صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم
واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري
وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه يأكله كلب
الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح
الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك
اخرون واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت
النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من
كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر
بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال
اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته
وحده واخبر ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول
يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال
فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة
فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما
عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن

سعد

سعد وقال لسراقة كيف بك اذا البست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر
البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال تبنى
مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة يجبى اليها خزائن الارض
يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد
هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل
فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما
يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى
الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين
وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته
وبعد موته كما قال عليه السلام الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم و
اطلعه عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان
بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لا
خبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم
وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان
فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة
ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها
ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت
المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم
بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان كله
كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت
مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج
الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة و
ايات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة
والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا
مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته واكثرها في الصحيح وعند الائمة
وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداء
المشركين وقيل غير هذا وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر
بك الذين كفروا الاية اخبرنا القاضي ابو علي الصدفي قراتي عليه والفقيه
الحافظ ابو بكر محمد بن عبد المعافري قالا نا ابو الحسن الصيرفي قال نا
ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي نا ابو العباس المروزي نا ابو عيسى
الحافظ نا عبد بن حميد نا مسلم بن ابرهيم نا الحرث بن عبيد عن سعيد
الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه
وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا
فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل
منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه
ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه و
ضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه
القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة
وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند
خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد
انفرد عن اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله
وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه
دعثور ابن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه
وكان سيدهم واشجعهم قالوا اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني
نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط
السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي

رواية

رواية الخطابي ان غورث ابن الحرث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي
صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قايم على راسه منتضيا سيفه
فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين
كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته
غير هذا وذكر انه فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا
فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء ان يخذلني فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهي جمر
على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطاها كثيبا اهيل وذكر ابن
اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله
مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد
ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر
واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين
صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا
الفهر فاه وعن الحكم ابن العاصي تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد
فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا
ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا
وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة
الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا
هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة
والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه
فخرج عليهم من بيته فقام على روسهم وقد ضرب الله على ابصارهم
وذر التراب على روسهم في الغار بما هيا الله له من الايات ومن

ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا
يدخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل
ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش
لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن
مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر
الجعايل قايد ديه فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا
عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوايم فرسه وخر عنها واستقسم
بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى
الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية
الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوايمها مثل الدخان
فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن
فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم
الا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا
وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع
في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا عرف
خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه
فلم يدر ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه
وجاءه فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد
وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه
الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له
ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك
وحلف لئن راه ليدمغنه فسالوه عن شانه فذكر انه عرض لي
دونه فحل ما رايت مثله قط هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني

المغيرة

المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي
صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه
وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ
خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم
فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي
صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل
ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم
قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني
النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن امية
فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القسم حتى نطعمك ما سالتنا
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على
قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد
حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن
ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا صلى الله عليه
وسلم يصلي ليطان رقبته فلما صلى النبي عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما
قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل
فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملو نارا كدت اهوي
فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملات الارض فقال
عليه السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا
ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى اخر
السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم
حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك
ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال لما دنوت منه ارتفع الى شواظ من نار

٧٨

اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري
وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت
امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة
بن عمرو اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال
افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شي فضحك واستغفر لي ووضع
يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن
مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان
عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك
قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى
ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم
على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة
شهر كما قال عليه السلام **فصل** ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف
والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته من امور
شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله و
قصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم الى زمنه وحفظ
شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم
واختلاف ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من
الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها و
مخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات
العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحاتها والحفظ
لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها
الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض
والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا
تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب
وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من

جهة

جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا
سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة
برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من
الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات
والحدود عاجلا والتخويف بالنار اجلا الى الاحتواء على
ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض
والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل المعارف
كلامه عليه السلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلام
٧٢ الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا
حق يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله
اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء
البردة وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض
البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه
لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله خير ما تداويتم
به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة
وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله
ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث
للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبأ ارجل
هو ام امراة او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة
الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب
على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير راس
العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها
وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق الله السموات والارض وقوله في الحوض زواياه سواء
وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشرة فتلك مائة وخمسون على

اللسان والف وخمسماية في الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع
الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او
الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه
اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل
شي حتى قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله
لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس
وقوله في الحديث الاخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه
عليه السلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين
ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح
الرواية انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع
الكتابة والقراءة واما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني
اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه
لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية
وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب
دردم اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا
ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب
ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله امي لم يكتب ولم
يقرا ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشا بين قوم لهم علم ولا
قراءة لشي من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشي منها قال الله تعالى
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية انما كانت
غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما حصل
ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله
عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد
الملحد لشي مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا
قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم لسان

الذي

الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة
العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان
انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القران وظهور ما لا ينعد من
الايات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرا على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف
في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما
اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة
ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف
باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر
او يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم
فهل حكي عن واحد منهم شي من مثل ما كان يجي به محمد عليه السلام و ٧٤
هل عرف واحد منهم بمعرفة شي من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة
عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فياخذ عنه ايضا
ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث
بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه
ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد منهم بل لم
يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج
عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها
تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه
عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف
الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجي ما اتى به
في معجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر
فصل ومن خصايصه عليه السلام وكراماته وباهر اياته انباؤه مع
الملايكة والجن وامداد الله له بالملايكة وطاعة الجن له ورؤية كثير
من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية
وقال اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وقال

اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم الابتين وقال واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية حدثنا سفيان
ابن العاصى الفقيه سماعى عليه نا ابو الليث السمرقندى قال
انا عبد الغافر الفارسى حدثنا ابو احمد الجلودى نا ابو سفين
نا مسلم نا عبيد الله بن معاذ نا ابى نا شعبة عن سليمان الشيبانى
سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى
قال راى جبريل فى صورته له ستمائة جناح والخبر فى محادثته مع
جبريل واسرافيل وغيرهم من الملئكة وما شاهده من كثرتهم
وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد راهم بحضرته جماعة
من اصحابه فى مواطن مختلفة فراى اصحابه جبريل عليه السلام
فى صورة رجل يسال عن الاسلام والايمان وراى ابن عباس
واسامة وغيرهما عنده جبريل فى صورة دحية وراى سعد
على يمينه ويساره جبريل وميكائل فى صورة رجلين عليهما ثياب
بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملئكة خيلها
يوم بدر وبعضهم راى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون
الضارب وراى ابو سفيان ابن الحرث يومئذ رجالا بيضا على
خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شئ وقد كانت الملئكة
تصافح عمران بن الحصين وراى النبى صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل
فى الكعبة فخر مغشيا عليه وراى عبد الله بن مسعود الجن ليلة
الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان
مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته
فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب
فقال له الملك لست مصعب فعلم انه ملك وقد ذكر
غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن
جلوس مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم

على النبى

على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه فقال نغمة الجن من انت قال
انا هامة ابن الهيم ابن لاقيس ابن ابليس فذكر انه لقى نوحا
ومن بعده فى حديث طويل وان النبى صلى الله عليه وسلم علمه سورا
من القران وذكر الواقدى قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء
التى خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبى
صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال عليه السلام ان شيطانا
تفلت البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته فاردت
ان اربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت
دعوة اخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا الاية فرده الله خاسيا و
هذا باب واسع فصل ومن دلايل نبوته وعلامات رسالته
ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب
من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذى بين
كتفيه وما وجد من ذلك فى اشعار الموحدين المتقدمين من شعر
تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لوى وسفين بن مجاشع وقس بن
ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذى يزن وغيرهم وما عرف به من امره
زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميرى
وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما
الفى من ذلك فى التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله
عنهما ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وبنى سعية وابن يامين
ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور
وصاحب بصرى وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشى
ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى
وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورؤساهم
ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه
وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد

والنفاسة على المها على الشقا والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع
اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج
عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم
السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن
معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكانت
اظهارها اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال
وقد قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان
مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران
وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بنت كريز وفاطمة
بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول
وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبايح النصب واجواف الصور
وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة
والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم
مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده وما حكته امه
ومن حضره من العجايب وكونه رافعا راسه عندما وضعته شاخصا ببصره الى
السماء وما راته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمان
بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور
وقول الشفا ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي واستهل
سمعت قايلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى
قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظيراه من بركته ودرور لبنها
ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشاته وما جرى من العجايب
ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية
وخمود نار فارس وكان اذا اكل مع عمه ابي طالب
واله وهو صغير شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان

سابر

سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا
كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته عليه السلام شكا جوعا ولا عطشا
صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم
استراق السمع وما نشا عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية
وما خصه به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بنا الكعبة
اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض
حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت عن التعري ومن ذلك
اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة ونساها راينه لما قدم
وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج
معه في سفره وقد روي ان حليمة رات غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك
عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة
فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه وميل فيء
الشجرة اليه في الخبر الاخر حتى اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان
نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه
ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته ومنبره روضة
من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه
وصلاة الملايكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على
غيره قبله ونداهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روي من تعزية
الخضر والملايكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كرامته وبركته في حياته
وموته كاستسقا عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته **فصل** قال القاضي ابو
الفضل قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة
في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من
غريبه مما ذكره مشاهير الايمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار و
بحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات

الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها
وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من
الانبياء يقف على ذلك ان شاء الله واما كونها كثيرة فهذا القران وكله معجزة واقل ما يقع
الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها
وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون ان كل جملة منتظمة
منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة
من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا
كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة وسف على عدد
بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها
معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل
جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز
اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر
عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز
الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد ياخذ العد
معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه
السلام في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله يبلغ نحوا من هذا
الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم
اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى غاية علم اهل
السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق
عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى اغنى ما كان الطب
واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من
احيا الميت وابرا الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات
الانبياء ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة
والشعر والخبر والكهانة فانزل عليه القران الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة
والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب

الذي لم يهتدوا

الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن
الاخبار عن الكوائن والحوادث والمغيبات والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف
المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة
وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار
عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز
من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه
المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القران ثابتة الى
يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه
اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه
صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان
وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين
وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم
ذواتها ومعجزة نبينا لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه
السلام بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي نا القاضي ابو الوليد نا ابو ذر نا ابو محمد
وابو اسحق وابو الهيثم قالوا نا الفربري نا البخاري نا عبد العزيز بن عبد الله نا الليث
عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا
اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي
فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح
ان شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه
السلام الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخيل فيه ولا التحيل
عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا
في التخيل لها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا ما يخيله الساحر
او يتحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه
عندهم ظاهرا من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا
بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني

ما يفحص الجعل عليه وبعضهم وجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة
كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان
بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم
ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان
بما في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء
والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز
والتهديد والوعيد اين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم
منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني و
غيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في نفسها كقلب
العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص
صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر
واما التحدي للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم
يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها
بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع
الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر اية و
اظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور ايته على
سائر ايات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها
ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب
ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا
من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم
السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما
قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الايات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير
والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله

ذلك

ذلك ومنهم من امن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله
وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل
ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا
كلها وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا
بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها
وبالله استعين

القسم الثاني

فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام
قال القاضي ابو الفضل وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول
الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره
وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره

الباب الاول

في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه ثبوت
نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فامنوا
بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية فالايمان
بالنبي الامي الاية فالايمان بالنبي محمد عليه السلام واجب متعين لا يتم ايمان الا به
ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا
للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه نا الامام ابو علي
الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابن عمرويه نا ابن سفين نا ابو الحسين نا امية
بن بسطام نا يزيد بن زريع نا روح عن العلاء بن عبد الرحمن ابن يعقوب عن ابيه
عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي ابو الفضل والايمان به عليه السلام
هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة
تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق بالقلب
والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث

نصف الشفاء في حقوق المصطفى

الباب القسم نصف

الاول الثاني

نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم
ساله عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان
الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه
الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا
هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم و
تصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمايرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكم اذ لم يكن
معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة
اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالايمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر
بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السراير ولا امروا بالبحث عنها
بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه
والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق
من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل
اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول و
الشهادة به وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه
غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق
بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد
في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة
من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده
شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم
التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام

في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد
التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف
صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام
حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرنا غنية
فيما قصدنا ان شاء الله **فصل** واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به
وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله
والرسول فاولئك الاية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى
طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته
بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والايمة طاعة الرسول
في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من
ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرايضه وسئل سهل بن
عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما اتيكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال
اطيعوا الله في فرايضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول
فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة
حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف
نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبدان اخبرنا عبد الله انا يونس
عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله
ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني وطاعة الرسول
من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى
الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام

اذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي
هريرة عنه عليه السلام كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني
دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما
بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان
فالنجا فاطاعه طايفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا
مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل
من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل
فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي
لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله
ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس **فصل** واما وجوب اتباعه
وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك الى قوله تسليما
اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة
في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد
من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط
الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء
باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه و
اثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم
بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب
الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية وروي ان الاية نزلت في
كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله
فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته

فاعملوا

فاعملوا ما امرتكم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امر
ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة
وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القايل تعصي الاله وانت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب
مطيع ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له
وارادته الجميل له ويكون بمعنى مدحه وثنايه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى
الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتي بعد في ذكر محبة العبد
غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه قال نا ابو
الاصبغ عيسى بن سهل ونا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه قراءة عليه قالا
نا حاتم بن محمد قال نا ابو حفص الجهني نا ابو بكر الاجري نا ابرهيم بن موسى
الجوزي نا داود بن رشيد نا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن
معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن
سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور
فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة
في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته
ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال
ما بال قوم يتنزهون عن الشي اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له
خشية وروي عنه عليه السلام انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه
وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جامع القران ومن تهاون
بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا
امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال الله تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن

رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث
كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو
ابن العاصي قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة
او سنة قايمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه السلام عمل قليل
في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة
تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد
امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرائل افترقوا على اثنتين
وسبعين ملة وان امتي يفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا
ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عليه السلام
من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي
فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة
ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من
اوزار الناس شيئا **فصل** واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته
والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن
ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال نا ابو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم
بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا نا محمد بن وضاح نا يحيى بن يحيى نا مالك
عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا
عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القران ولا نجد صلاة السفر
فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه
يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر
بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة
على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها
من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير
سبيل المومنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن

ابي الحسن

ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا
عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب
يتعلم السنة والفرايض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقران
فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبر حين صلى
بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع
وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن
ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني لست
بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال
ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم
بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت
عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس
ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله
عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل الله وسنة خير
من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا
او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد
العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل ياخذهم بالظنة او يحملهم على البينة
وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان
لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطا في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسول الله وقال الشافعي ليس في سنة
رسول الله الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا
تضر ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله
وراى عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من امر
السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق

بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم
في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير
قوله والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن
حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بميزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قايلا لي
باحمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت
من انت قال جبريل **فصل** ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة
متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى الآية حدثنا
ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراتي عليهما قالا حدثنا ابو
القسم حاتم بن محمد قال نا ابو الحسن القابسي نا ابو الحسن بن مسرور الدباغ نا
احمد بن ابي سليمن نا سحنون بن سعيد نا ابن القسم نا مالك عن العلا بن
عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث
في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم
الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس
منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين
احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجي بكتاب في كتف
كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او
كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية و
قال عليه السلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست
تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت

شيئا

شيئا من امره ان ازيغ **الباب الثاني** في لزوم محبته قال الله تعالى قل
ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الآية
فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم
خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع تعالى من كان ماله وولده احب
اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم
بتمام الآية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ
فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد قال نا سراج بن عبد الله القاضي نا
ابو محمد الاصيلي حدثنا المروزي نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن
اسمعيل نا يعقوب بن ابرهيم نا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده و
والده والناس اجمعين وعن ابي هريرة نحوه وعن انس عنه عليه السلام ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف
في النار وعن عمر بن الخطاب انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من
كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى
اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي
من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من
لم ير ولاية الرسول عليه السلام عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في
ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث **فصل** في ثواب
محبته حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه نا ابو القسم حاتم بن محمد نا
ابو الحسن علي بن خلف نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل
نا عبدان نا ابي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت
لها قال ما اعددت من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله

ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى
الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده
فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى
الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر معناه وعن
علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين
واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وروى ان رجلا اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما
اصبر حتى اجي فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة
رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه
وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي وامي اتمتع من النظر اليك فاذا
كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث انس ومن
احبني كان معي في الجنة **فصل** فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم
للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي
نا الجلودي نا ابن سفين نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل
عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس
يكونون بعدي يود احدهم لو راني باهله وماله ومثله عن ابي ذر وتقدم
حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن
الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاصي ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراشه
الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين
والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم
فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر انه قال للنبي صلى
الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه

يعني اباه

يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن
الخطاب قال للعباس ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امراة من الانصار قتل ابوها
واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه حتى انظر
اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب كيف كان
حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا
واولادنا وابائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما وعن زيد بن اسلم
خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول
على محمد صلاة الابرار　صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكا بالاسحار　يا ليت شعري والمنايا اطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار　تعني النبي صلى الله
عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله
فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما
احتضر بلال نادت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبه محمدا
وحزبه وروي ان امراة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم
ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان
عندنا مكانك يضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان
محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو
سفيان ما رايت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه
وسلم وعن ابن عباس كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما
خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله
ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت
صواما قواما تحب الله ورسوله **فصل** في علامة محبته عليه السلام اعلم
ان من احب شيئا اثره واثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا

قال الصادق في حب النبي من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتدا به واستعمال
سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب
بادابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه
على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوءو الدار و
الايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في
رضى الله حدثنا القاضي ابو علي الحافظ نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا
ابو عيسى نا مسلم بن حاتم نا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي
بن زيد عن سعيد ابن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد
فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني ومن
احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله
ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها
ودليله قوله عليه السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى
به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات
محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة
شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند
قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبه محمدا وصحبه ونحوه
قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان
ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع
والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير
من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله
تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه

من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض
من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال عليه السلام في الحسن
والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال
من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني
ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال
في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعايشة في اسامة بن
زيد احبيه فاني احبه وقال اية الايمان حب الانصار واية النفاق
بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة سلفنا
حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين راى النبي صلى الله عليه وسلم
يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن
بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسالوها ان تصنع لهم
طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال
السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك
ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف
سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله و
هؤلاء اصحابه عليه السلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته
وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه ومنها
ان يحب القران الذي اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به
حتى قالت عايشة كان خلقه القران وحبه للقران تلاوته والعمل به وتفهمه
ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القران
وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة

وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض
الدنيا ان لا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود لا يسئل احد
عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه
للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار
عنهم كما كان عليه السلام بالمومنين روفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها
في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري
ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلا الوادي او الجبل الى اسفله
وفي حديث عبد الله ابن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك
فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر
تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه **فصل** في معنى المحبة للنبي صلى الله
عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم
وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف
احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كانه التفت الى قوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته
والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر
للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم
المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال اخر المحبة ميل القلب
الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة
المحبة الميل الى ما يوافق الانسان ويكون موافقته له اما الاستلذاذه بادراكه
كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها
مما كل طبع سليم مايل اليها لموافقتها او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه
معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والماثور عنهم السير
الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مايل الى الشغف بامثال هولاء حتى
يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرين ما يودي الى الجلاء عن الاوطان
وهتك الحرم واحترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه
له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت
هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني
الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا
منها قبل فيما مر من الكتاب مما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذلك
قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رافته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم
واستنقاذهم به من النار وانه بالمومنين روف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه ويتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى
صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المومنين واي
افضال اعم منفعة واكثر فايدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية
ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم
والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدايم والنعيم السرمد فقد استبان
لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار و
عادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان
يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة
التاذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يوثر
من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم سيرته فمن جمع هذه الخصال
على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام
من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان
لا يصرف بصره عنه محبة فيه **فصل** في وجوب مناصحته عليه السلام قال
الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على
المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا
كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراتي عليه
نا حسين بن محمد نا يوسف ابن عبد الله نا ابن عبد المومن نا ابو بكر التمار نا ابو
داود نا احمد بن يونس نا زهير نا سهيل بن ابي صالح عن عطاء ابن يزيد عن تميم

الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين
وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة
قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح
له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من
قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف النصح
فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به
الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من
مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين
تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل
الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما
امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا
واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة
وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول الله التصديق بما جاء به والاعتصام
بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى
العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته
ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاناة من عاداه والسمع
والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
الاية وقال وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته
فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه
في شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه
والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر
على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها

كما قدمناه

كما قدمناه وحكى الامام ابو القسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان
ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال
غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبني
كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي
ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم
به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين
وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين
ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم
وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع
اليهم

الباب الثالث

في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال
يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الايات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه
تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري
تعينونه وقرئ تعززوه بزايين من العز ونهى عن التقدم من يديه بالقول
وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل
بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا وانصتوا له ونهوا عن التقدم
والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء من ذلك من قتال او غيره
من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به الى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك
والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله
سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال
حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق
صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم
بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا

يناد وه باسمه بدأ بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان
ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين قال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم
الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم
وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى
بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين ابي
بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما
وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم
وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان
يكون حبط عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت
نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت
اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي
ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر
كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه
الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله
عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض
من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي
صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها
كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي
صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم
في قولها لمشاركة اللفظ وقيل غير هذا

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام
وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بكر الاسدي سماعا عليهما في اخرين
قالوا انا احمد بن عمر نا احمد بن الحسن نا محمد بن عيسى نا ابرهيم بن سفيان نا مسلم
نا محمد بن المثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور نا الضحاك بن مخلد نا
حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا
عمرو بن العاصي فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له ولو
سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه وروى الترمذي عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم
جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا
ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته
اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين
وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى من تعظيم اصحابه
له ما راى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا
يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم
واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا
امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده ولا يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع
الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في
ملكه واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رايت
ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا
وعن انس لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما
يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في الطواف
بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية وقال ما كنت لافعل حتى
يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله
فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث

قيله فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصا أرعدت من الفرق وذلك هيبة
له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافر
وقال البرا بن عازب لقد كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر
فاوخر سنين من هيبته **فصل** واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته و
توقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه
وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال
ابو ابرهيم التجيبي واجب على كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر
ويسكن من حركته وياخذ في هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه
ويتادب بما ادبنا الله به قال القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح
وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري
وابو القسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا اخبرنا ابو العباس احمد بن
دلهات قال نا ابو الحسن علي بن فهر نا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج نا ابو الحسن
عبد الله بن المنتاب نا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل نا ابن حميد قال ناظر
ابو جعفر امير المومنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير
المومنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح النبي قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية
وذم قوما فقال ان الذين ينادونك الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها
ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه
السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو
انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم
عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين وكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان
اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله
عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم

مارايت

ما رايت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القرا لا نكاد
نسئله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير
الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه
الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه
وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القسم
يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه
هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت اتى عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر
عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكا حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري
وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك
ولا عرفته ولقد كنت اتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم بكا فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي
عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس
قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان عبد الرحمن بن مهدي
اذا قرئ حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع
قوله **فصل** في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو الفضل بن خيرون نا البرقاني وغيره
نا ابو الحسن الدارقطني نا علي بن مبشر نا احمد بن سنان القطان نا يزيد بن هارون
نا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود
سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على
لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق يتحدر عن
جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما قرب من ذا
وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه

وقال ابرهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي
حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قايم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله
عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال
اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي
عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله
عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر
بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل
عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا
اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون
الحديث او المسايل فان قالوا المسايل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله
واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على
راسه رداه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال
يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم
يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث
في الطريق او هو قايم او مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب
ستة عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت
منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث فانتهرني

وقال

وقال كنت في عيني اجل من ان يسال عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
نمشي وسال جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قايم فامر بحبسه
فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن الغازي سال
مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين
حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيد في حديثا قال عبد الله
بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة
يستحب ان لا تقرأ احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على
طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه
كما حض عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو
محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله نا ابو الحسن المقرئ الفرغاني
حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف حدثني ابي نا حاتم هو ابن عقيل
نا يحيى هو ابن اسمعيل نا يحيى هو الحماني نا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق
عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم
الله اهل بيتي ثلثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل
العباس وقال عليه السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام معرفة آل
محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان
من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه
وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي
سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وذلك في بيت
ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال
اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن
ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا
وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه

فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا
يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان
حتى يحبكم لله ورسوله ومن اذى عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه
وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءة وقال هذا عمي
وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة
الباب وحوايط البيت امين امين وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول
اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته و
قال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان
اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وقال من احبني
واحب هذين اشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة
وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها
وقال عليه السلام لام سلمة لا توذيني في عايشة وعن عقبة ابن الحرث رايت ابا بكر
رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي
وعلي يضحك وروي عن عبد الله ابن حسن بن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز
في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان
يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت اليه بغلته
ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال
هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان
نفعل باهل بيت نبينا وراى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا
عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض
وقال لو راه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة
بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى
لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه
في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها
حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلثة الاف

ولاسامة

ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمس مائة قال عبد الله لابيه لم فضلته
فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة كان يشبه برسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه
واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان مالكا
رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل
عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك
فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض
اله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله و
الله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدأت
بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى
الارض احب الي من ان اقدمهما عليه وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا لها واي اية اعظم من
ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة
النبي عليه السلام ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت
حليمة السعدية على النبي عليه السلام بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي
وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك **فصل** ومن توقيره وبره عليه
السلام توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم
والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب
عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة
في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن
احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم

بسوء ولا يغمض عليه امر بل بذكر حسناتهم وفضايلهم وحميد سيرتهم و
يسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال
الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الاية
الى اخر السورة وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية
وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو علي نا ابو الحسين وابو الفضل
نا ابو يعلى نا ابو يعلى السنجي نا محمد ابن محبوب نا الترمذي نا الحسن بن الصباح
نا سفيان بن عيينة عن زايدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن
حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر
وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به و
قال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله
ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه
لعنة الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على
جميع العالمين سوى النبيين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا
فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن
ابغض عمر فقد ابغضني قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة و
سبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم
الاية وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد
الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم قال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد
اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد

اخذ

اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد
برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي
حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن
ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان
وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك
ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي
واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم مظلمة فانها مظلمة لا توهب
في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران ابن عمر بن عبد العزيز من معاوية
فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره
وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه
وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار اعفوا عن
سيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من
حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه
ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام من حفظني في اصحابي
كنت له حافظا يوم القيامة وقال من حفظني في اصحابي ورد على الحوض
ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد قال
مالك رحمه الله هذا النبي مودب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين
يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك
امره الله وامر النبي بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن
كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيامة وطلب
رجل من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري
لم يومن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره فصل ومن اعظامه ف
واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة
ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة

قال كانت لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض
فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام
فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته
من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين ورئي
ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه
ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطا
تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا
كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى
ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة
انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه
وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب
ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة
دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه السلام
في المدينة من احدث فيها حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ
قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره
على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته ومات قبل الحول
وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار
وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها
ترجل ومشى باكيا منشدا ولما راينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان
الرسوم ولا لبا نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا
وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول انشاء يقول متمثلا
رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الاوهام واذا المطي

بنا بلغن

بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرحال حرام قربتنا من خير من وطئ الثرى
فلها علينا حرمة وذمام وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له العبد
الابق ياتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي
قال القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل
وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت
تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما
انتشر مدارس ايات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات
ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف
سيد المرسلين ومتبوا خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض
عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان
تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها يا دار خير
المرسلين ومن به هدي الانام وخص بالايات عندي لاجلك لوعة
وصبابة وتشوق متوقد الجمرات وعلي عهد ان ملأت محاجري من
تلكم الجدرات والعرصات لاعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل
والرشفات لولا العوادي والاعادي زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات اذكى من
المسك المفتق نفحة تغشاه بالاصال والبكرات وتخصه بزواكي
الصلوات ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع

في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله
وملئكته يصلون على النبي الاية قال ابن عباس معناه ان الله وملئكته يباركون
على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد واصل
الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة
من الله وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر
الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال ابو بكر القشيري
الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف

الباب الرابع

وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملئكة وصلاة
الملئكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين
واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر ابن بكير نزلت
هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من
بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره
وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك وتكون السلام
مصدرا كاللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متولي له وكفيل
به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له و
الانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم
لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما **فصل** اعلم ان
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله
تعالى بالصلاة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه
وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع
ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج وماثم ترك
الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن
الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا
ان ذلك واجب على الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة من دهره
مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان
يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان
يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب
مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فرض بالجملة بعقد الايمان لا تتعين في الصلاة وان من صلى عليه مرة
واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها
الذي امر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلاة وقالوا اما في

غيرها

غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري
والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجب وشذ الشافعي في ذلك
فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام
فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له في هذا القول
ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها جماعة و
شنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر ابن
المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان
الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي
عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد الاخير
مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة واوجب اسحاق الاعادة
مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض
الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
ان محمد ابن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي وقد خالف الخطابي
من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست
بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها
قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل
الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا
تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله
عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد
عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد
الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا

التشهد كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر
يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن
الخطاب وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او
لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي
حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل
فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر
محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم
ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم فصل في المواطن التي يستحب فيها
الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة
كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله
بقراتي عليه قال حدثنا الامام ابو القاسم البلخي نا الفارسي عن ابي القسم
الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى الحافظ قال نا محمد ابن غيلان نا عبد الله بن يزيد
المقرئ نا حيوة بن شريح حدثني ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي
اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو
في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه
فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثنا عليه ثم ليصل على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد ما شاء ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله
وهو اصح وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء
والارض ولا يصعد الى الله منه شي حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي
عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروي ان الدعاء محجوب حتى
يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال
الله شيئا فليبدأ بمدحه والثنا عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم ليسال فانه احرى ان ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج
الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسط

واخره

واخره قال ابن عطاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي
وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه
انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله
وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة
على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين علي لا يرد وفي حديث
اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة علي صعد الدعاء وفي
دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب دعائي ثم تبدا
بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك
افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلاة عليه عند
ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه السلام رغم انف
رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند
الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق
الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله
الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر
الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس
عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة ومن مواطن
الصلاة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل
المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك عليه
وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا
خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة
الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم
يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم في البيت احد فقل السلام

علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملئكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل
واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله
عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم
والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنائز وذكر
عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم
تنكرها الصلاة على النبي واله في الرسايل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في
الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض
ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه
وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القسم خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله
وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت نا ابو الهيثم نا محمد بن يوسف نا محمد
ابن اسمعيل نا ابو نعيم نا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات
والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا
احد مواطن التسليم وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه
كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط
ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر
انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان
حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملئكة وبني ادم والجن قال مالك
في المجموعة واحب للماموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم فصل في كيفية الصلاة

ف

عليه

عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراتي عليه نا القاضي ابو الاصبغ
نا ابو عبد الله بن عتاب نا ابو بكر بن وافد وغيره نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى
نا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال
اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ال ابرهيم وبارك على محمد
وازواجه وذريته كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك
عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله كما صليت على ال
ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على ال ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام
كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم
وبارك على محمد وال محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو
في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري
اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي
سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراتي عليه قالا نا ابو عبد الله بن سعدون
الفقيه نا ابو بكر المطوعي قال نا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ
عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو ابن خالد عن زيد بن
علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب العزة
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد
اللهم وترحم على محمد وعلى ال محمد انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى
ال محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى
ال محمد كما سلمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت
فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل
بيته كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري

سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم
بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان
علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات
اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك
الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما
حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس الاء الله تصل باهله اسبابه به هديت
القلوب بعد خوضات الفتن والاثم انهج موضحات الاعلام ونايرات الاحكام
ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم
الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات
الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك
المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره
واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة
فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله و
ملائكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم
والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك
من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام
المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير
وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد و
على آل محمد كما باركت على ابرهيم وآل ابرهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول
من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد
وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره

واتباعه

واتباعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن
عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا
وآته سؤله في الاخرة والاولى كما اتيت ابرهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه
كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل
ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤل له الى يوم القيمة وعن ابن
مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي عليه السلام فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا
تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد
المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه في الاولون والاخرون اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد وما يوثر في تطويل الصلاة
وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم في التشهد
من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين وفي تشهد علي السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله
السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات
من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي
ولوالدي وما ولد وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث الصلاة
عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يات في غيره من الاحاديث المرفوعة وقد ذهب
ابو عمر بن عبد العزيز وغيره الى انه لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة
والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد
في الصلاة على النبي اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابرهيم وآل ابرهيم ولم يات هذا
في حديث صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعاء له حدثنا احمد بن
محمد الشيخ الصالح من كتابه نا القاضي يونس بن مغيث نا ابو بكر بن معاوية نا النسائي

انا سويد بن نصر انا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد
الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان
اكون هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات
وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه عليه السلام ان جبريل ناداني فقال من صلى
عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه
عليه السلام لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى
عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن
طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله
المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي
يوم القيمة اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل
الملئكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملئكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن
ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس
اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول
الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال
ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى
ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته
ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشارة من
ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله
وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال
حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمدا الوسيلة

والفضيلة

٥٧

والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن
ابي وقاص عنه قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى
ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاثار
ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة من
اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله نا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا نا ابو يعلى نا
السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى نا احمد بن ابرهيم الدورقي نا ربعي بن ابرهيم
عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان
ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة
قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد
المنبر فقال امين ثم صعد فقال امين ثم صعد فقال امين فساله معاذ عن ذلك
فقال ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك
فمات فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل
منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي
طالب عنه عليه السلام قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطى بطريق
الجنة وعن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من
ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم
جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم
كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلاة
علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه السلام من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا
يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان
دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا
صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي
ابو عبد الله التميمي نا الحسين ابن محمد نا ابو عمر الحافظ نا ابن عبد المؤمن نا ابن
داسة نا ابو داود نا ابن عوف نا المقرئ نا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد
عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من
احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى
علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود ان لله ملئكة سياحين في الارض يبلغوني
عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم
كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته
علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم
تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر
بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي
اذا دخلت المسجد فسلم على النبي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي
عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم
وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي وعن
سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين
يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم
الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي
علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام
قال القاضي وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم وروي عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
وروي عنه لا تنبغي الصلاة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى
الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد
من الانبياء سوى محمد عليه السلام وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال
مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا
ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلاة على الانبياء
كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي الصلاة عليه وفيه
وعلى ازواجه وعلى آله قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب
بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد
قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملئكته وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها وصل عليهم الآية وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان
وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد
قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده
وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي صلى
الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد نفسه فانه
كان يقول في صلاته على النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه
لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلاة على محمد نفسه
وهذا مثل قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود
وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي
حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطاء
من رواية يحيى الاندلسي وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل
ويصومون بالنهار قال القاضي والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك
وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين

انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شي يختص بالانبياء توقيرا لهم وتعزيزا
كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك
يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشاركه فيه سواهم كما
امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضى
كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال والذين اتبعوهم
باحسان رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما
احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما
التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع
والاضافة اليه لا على التخصيص وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى
الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس
بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا فصل ه
في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعوا
وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها وروى
عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي
وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما
ورد من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان
ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشي اذ ليس كل
زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم
لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له
لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي لم يكرهه لقوله عليه السلام

اللهم

اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك
قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما
لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس
يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي
فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله
وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فتلى هذه الاية ان الله وملئكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك
يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة
وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك
حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقره مني السلام قال
غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك اتى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى
الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنوا ويسلم ولا
يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه
وسلم يدعوا ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه
النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على
راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة واكثر يجي الى
القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف
وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي على النبي وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القسم والقعنبي ويدعوا لابي بكر
وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد

الباجي وعندي انه يدعوا للنبي بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر
من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام
على رسول الله عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملئكته على محمد
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم
ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك
بالقبر تحمد الله فيهما وتسئله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك
في غير الروضة اجزاتاك وفي الروضة افضل وقد قال عليه السلام ما بين
بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة
ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم
على ابي بكر وعمر وتدعوا لهما واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد
ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال
محمد واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى
ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت
المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا
خرج اللهم اني اسئلك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان
وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملئكته
على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا
وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر
مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله
وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي

ابواب رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله
عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد
وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغربا وقال فيه ايضا لا باس
لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي
عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون
من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في
الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال
لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه
الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا
يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت
اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رايي
وقال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغربا لان الغرباء قصدوا الذلك و
اهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال
عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد
الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا
وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب
مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة
فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغربا احب الي من التنفل في البيوت
فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما
قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره
وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم
احق ان تقوم فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي
هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم
وعن ابن عباس انه مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراتي عليه قال

نا الحسين ابن محمد الحافظ نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن
داسة نا ابو داود نا مسدد نا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام و
مسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلاة والسلام على النبي
صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه
القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت
من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي
لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما
يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد
النبي عليه السلام والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم
قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد
رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد
الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير
من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى
هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك
في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث
ان الصلاة في مسجد الرسول افضل من الصلاة في سائر المساجد بالف صلاة
الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة
فيه بدون الالف واحتجوا بما روى عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام
خير من مائة صلاة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد الرسول عليه بتسع مائة
وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو
قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل

مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي
عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلاة في
المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم
بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي
هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على
هذا على الصلاة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل
بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم
مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا
التفضيل انما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة
ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق
في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام ما بين
بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد
ومنبري على حوضي وفي حديث اخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري
فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما
بينه بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن
اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره
في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره في حجرته
وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره الذي كان في الدنيا
وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور
عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قال
الباجي قوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك
وان الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال
السيوف والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله

١٠١

الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في
المدينة لا يصبر على لأوايها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم
القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما
المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها وقال لا يخرج احد عن المدينة رغبة
عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروي عنه عليه السلام من مات في احد الحرمين
حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق اخر بعث
من الآمنين يوم القيمة وعن ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني
اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الى قوله امنا
قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا ولجا اليه
في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم
وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا
واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث
حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه
ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي
الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له
وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة من الآمنين قرات على القاضي
الحافظ ابي علي رحمه الله حدثنا ابو العباس العذري قال نا ابو اسامة
محمد بن احمد بن محمد الهروي نا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن
بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان
بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا
استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار

وانا فما

وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي
وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا
استجيب لي قال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا
استجيب لي قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا
وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في
هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت
الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها
قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن من
الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب
برحمته

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل
او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل الاية وقال ما المسيح بن
مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فمحمد صلى الله عليه وسلم وساير الانبياء من البشر
ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم
قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين
تمكنكم مخالطتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان
على صورته وقال قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من
السماء ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من
خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء

والرسل فالانبياء والرسل وسايط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته
وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ
على البشر من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم و
بواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات
الملئكة سليمة من التغير والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملئكة ورؤيتهم
ومخاطبتهم ومخالتتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة
بنعوت الملئكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم
كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة
الارواح والبواطن مع الملئكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا من امتي خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال
تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني
فبواطنهم منزهة عن الافات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة
لم تكتفي بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما ناتي به بعد
هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل الباب الاول

الباب الاول

فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا وساير الانبيا صلوات الله
عليهم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان الطوارئ من التغيرات والافات
على احاد البشر لا تخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كا
الامراض والاسقام او تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل
ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان
وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الافات والتغيرات بالاختيار وبغير
الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر و
يجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة
وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات التي تقع

على الاختيار

ف

على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء الله فيما ناتي من التفاصيل

فصل في حكم عقد قلب النبي من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك
توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به
وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن
الجهل بشيء من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة
بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة
ان يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم في اخبار الله تعالى له باحياء
الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل
له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني
ان ابرهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته
دعوته بسؤال ذلك من ربه وتكون قوله اولم تؤمن اي تصدق بمنزلتك
مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه سال زيادة يقين وقوة
طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد
تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في
النظريات فاراد الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من
علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله
سال كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع
انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح
احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد
اقدرني على احيا الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه
السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه
وقول نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون ابرهيم
شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي نحن موقنون
بالبعث واحيا الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه فهو اما على طريق

ق

الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق
اذ حملت قصة ابرهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان
كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الاية
فاحذر ثبتك الله وقلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس
او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا
يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي ولم يسال ونحوه عن ابن جبير والحسن
وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على
هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك
الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله يا ايها الناس ان كنتم
في شك من ديني الاية وقيل المراد بها خطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال
لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية
مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون
ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله
الرحمن فسئل به خبيرا المامور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسال النبي والنبي عليه
السلام هو الخبير المسؤول لا المستخبر السايل وقيل ان هذا الشك الذي امر غير
النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤون الكتاب انما هو فيما قص من اخبار
الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسال من ارسلنا
من قبلك من رسلنا الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم
قاله القتبي وقيل معناه سلنا عن من ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام
ثم ابتدأ اجعلنا من دون الرحمن الى اخر الاية على طريق الانكار اي ما جعلنا
حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك
فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسال قد اكتفيت
قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤوهم بغير التوحيد وهو معنى
قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله
اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم ياذن في عبادة غيره لاحد ردا على

مشركي

مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى
والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين
اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر
في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى يا محمد في ذلك
لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وان
النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فسئل
تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك
وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة
ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيئس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته
عايشة معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما
استيئسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر
المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عايد على الاتباع والامم لا على الانبياء و
الرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا
المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه
مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد في حديث السيرة
ومبتدا الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه
الله بعد روية الملك ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك
واعباء الوحي لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح
انه قاله بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقياه الملك واعلام الله
تعالى له بالنبوة لاول ما عرض عليه من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر وبدايه
المنامات والمباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان
اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تانيسا له عليه السلام ليلا
يفجاه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حاله بنية البشرية

وفي الصحيح عن عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا
الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث
وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت
ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن
اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني
وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه له واقرائه
اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت في
قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى
حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت
مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي
فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال و
قصده ما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله له
بالنبوة واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه
عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت
والله ان يكون هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي عليه السلام قال
لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا
يتاول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون و
الفاظ يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتداء امره
وقبل لقاء الملك له واعلام الله انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا
يصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه
ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه
فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت خديجة اوجه اليك
من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف
راسها الحديث انما ذلك في حق خديجة ليتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بلى قد ورد في حديث عبد الله بن
محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة ان ورقة امر خديجة
ان تخبره الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال
نعم فلما جاءه جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره
وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر فامنت به
فهذا يدل انها مستثبتة لما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي
صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا
حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل
لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله
عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك
لما احرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث ويصح معنى هذا التاويل حديث رواه شريك عن
عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار
الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رايهم على ان
يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه
جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او ان الفترة لامر او سبب منه فخشي
ان تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي
عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب
قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله في يونس فظن ان لن نقدر عليه
معناه ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه
مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل
نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه

بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن اذ لن نقدر عليه على الاستفهام ولا
يليق ان يظن نبي ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا
لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة
له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحيا من قومه ان
يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره
به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبي اخر فقال له يونس غيري اقوى عليه
مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس ان ارسال
يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الاية بقوله فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه ويستدل ايضا
بقوله ولا تكن كصاحب الحوت ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
فتكون هذه القصة اذًا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من
سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا
وقع في قلبه عليه السلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه
قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال
غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق
الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث
انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه
لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين
فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها
عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع من مقاساة
البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة
النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا
في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق

عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص
قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع
حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله
وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث
واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم
يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز
الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة
من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهوا وفترة الى ان معنى الحديث ما يهم
خاطره ويغم فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم
فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله
تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام عندها اظهارا
للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف
للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى
الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه
فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة
العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي
في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم
اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه
السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله
لنوح عليه السلام فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من
الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا عليه السلام
لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية نوح لا تكونن ممن
يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة
من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم الا يتشبهوا

في امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك وليس في اية منها دليل على كونهم
على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح قبلها فلا تسئلن
ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن
وقد تجوز اباحة السوال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسئله عما طوى عنه علمه واكنه
من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله
انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي لذلك امر نبينا في الاية الاخرى
بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل
بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي فلا تكونوا
من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القران كثير فبهذا الفصل وجب
القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم
من هذا وانه لا يجوز عليهم شي من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه
السلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الاية
وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية وقوله اذا
لاذقناك ضعف الحياة الاية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من
في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشا الله يختم على قلبك وقوله وان
لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم
وفقنا الله واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف
امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او
يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ
للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه
وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا
لتشتد بصايرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو
المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا
لاذقناك ضعف الحياة فمعناه فان هذا جزاء من فعل هذا وجزاوك لو كنت
ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك فالمراد

غيره

ف

غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله فان يشا الله يختم على قلبك
ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك
والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس
فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين
يدعون ربهم الاية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين

فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب
انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شي من ذلك
وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة
منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات
الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا
ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر
واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان
القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت
نبينا بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته
مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شي من ذلك تعييرا لواحد
منهم برفضه الهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان
هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم
له بنهيهم عن ما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم
عن تركهم الهتهم وما كان يعبد اباوهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض
عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه
كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا
بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الاية وبقوله واذ اخذ
الله ميثاق النبيين الى قوله لتومنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق
وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به

١٠٦



ونقره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا مما لا
يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق
قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله
وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدأ ولا يشبه عليك بقوله يعني
في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية
وابتدا النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من
العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه
الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد افهذا ربي قال الزجاج قوله هذا
ربي اي على قولكم كما قال اين شركاءي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من
ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم
عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكون مثلكم في ضلالكم
وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال
فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد
اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم انما يعودون
الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء
بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك
ومثله قول الشاعر   فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك   فان قلت فما
معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر
قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل
الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي
وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا

التحير

١٠٧ التحير ولهذا كان عليه السلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه
ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف
الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم وقال علي بن عيسى قال
ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين
وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى
وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك
في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرا الحسن بن علي ووجدك
ضال فهدى اي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا
ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها
في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل
اليك الذكر الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك
السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك
في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين
الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري معناه من الناسين
وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل
احداهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب
ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف
تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي هو
الفرايض والاحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التي
لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وكذلك الحديث الذي يرويه
عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع
المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم
خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم
بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع

وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير
متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه
عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في الحديث الاخر الذي روته
ام ايمن حين كلمه عمه واهله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته
لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص
ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله في قصة
بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في
سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاخبره بذلك
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما
فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسألك عنه فقال سل عما بدا لك
وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف
المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف
ابرهيم عليه السلام فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله قد بان بما قدمنا
عقود الانبياء في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما
ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما ويقينا على الجملة
وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن
طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق
نبينا في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم
في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط في حق الانبياء
العصمة في عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه
ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها
وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني
ان شاء الله ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي
الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا

سياستها وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم
بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم
بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي
الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك
عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل
العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول
بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام
سلمة اني انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة
اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده
مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف
من خالف فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب
عندنا ولا على القول الاخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم
من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو
بعد استقرار الشرع ونظر النبي واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه
شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم فاما ما لم يعقد عليه
قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا
شيئا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في ذلك
ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ
علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك
والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع
الذي امر بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده
من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى
وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان ويكون
مما لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا
ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان

عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله انى لا اعلم الا ما علمنى ربى
ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقول
موسى لخضر هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم
اسئلك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسالك بكل اسم سميت
به نفسك او استاثرت به فى علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذى
علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهى العلم الى الله وهذا ما لا خفاء به
اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبى فى التوحيد
والشرع والمعارف والامور الدينية **فصل** واعلم ان الامة مجتمعة على
عصمة النبى من الشيطان وكفايته منه لا فى جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره
بالوساوس وقد اخبرنا القاضى الحافظ ابو على رحمه الله تعالى قال نا ابو الفضل بن
خيرون العدل نا ابو بكر البرقانى وغيره نا ابو الحسن الدارقطنى نا اسمعيل
الصفار نا عباس الترقفى نا محمد بن يوسف نا سفيان عن منصور عن
سالم بن ابى الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملئكة
قالوا واياك يا رسول الله قال واياى ولكن الله تعالى اعاننى عليه فاسلم زاد
غيره عن منصور فلا يامرنى الا بخير وعن عايشة بمعناه روى فاسلم بضم
الميم اى فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروى
فاسلم يعنى القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر الا بخير
كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضى ابو الفضل
رضى الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بنى ادم فكيف
بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الاثار
بتصدى الشياطين له فى غير موطن رغبة فى اطفاء نوره واماتة نفسه و
ادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوايه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له فى صلاته
فاخذه النبى صلى الله عليه وسلم واسره ففى الصحاح قال ابو هريرة عنه عليه السلام
ان الشيطان عرض لى قال عبد الرزاق فى صورة هر فشد على يقطع على الصلاة

فامكننى

فامكننى الله منه فدعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا
تنظرون اليه فذكرت قول اخى سليمن رب اغفر لى وهب لى ملكا الاية
فرده الله خاسئا وفى حديث ابى الدرداء عنه عليه السلام ان عدو الله ابليس
جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى والنبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وذكر
تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا
يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك فى حديثه فى الاسراء وطلب عفريت
له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره فى الموطا ولما لم يقدر على
اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش فى الايتمار
بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وتصوره فى صورة الشيخ النجدى ومرة اخرى فى غزوة
يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم الاية ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله
امره وعصمه ضره وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفى من لمسه
فجاء ليطعن بيده فى خاصرته حين ولد فطعن فى الحجاب وقال عليه السلام
حين لد فى مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من
الشيطان ولم يكن الله ليسلطه على فان قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة
الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اى يستخفنك غضب
يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد
كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى وقيل ينزغنك يغرينك
ويحركك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب
على عدوه او رام الشيطان من اغرايه به وخواطر ادانى وساوسه ما لم
يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم
يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل فى هذه
الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك
ويلبس عليه لا فى اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد فى ذلك دليل المعجزة

بل لا يشك النبي ان ما ياتيه من الله الملك و رسوله حقيقة اما بعلم
ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس
في معنى هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما
يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ههنا التلاوة والقاء الشيطان
فيها اشتغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان
فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل
ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتي الكلام على هذه
الاية بعد باشبع من هذا ان شاء الله وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال
بتسلط الشيطان على ملك سليمن وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا
قصة سليمن مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال ابو
محمد مكي في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز
لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون
ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل ان الذي اصابه الشيطان
ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه
الا الشيطان وقوله عن يوسف فانسيه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه
السلام حين نام على الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول
موسى عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام
قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص
او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤس الشياطين وقال صلى الله
عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب
عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى
لفتيه والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبل موته وقول موسى
كان قبل نبوته بدليل القران وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته

وقد قال المفسرون في قوله انساه الشيطان قولين احدهما الذي انساه الشيطان ذكر ربه
احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام
وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس
ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما
نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا
وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان
الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط
الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا
قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه
تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق
حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله

ف

فصل واما اقواله عليه السلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على
صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن
شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا او غلطا اما تعمد الخلف
في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق
اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ
ابي اسحق الاسفرائني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء
ذلك وعصمة النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن
وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض
الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في
ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد
ولا على غير عمد ولا في حالي الرضا والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن
عمرو قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضا والغضب
قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه
بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله
الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله صدقت فيما تذكره عني وهو

وقد قال

يقول انى رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه فى هذا الباب
خبر بخلاف مخبره على اى وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره
ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير
خصوص فتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ف
ابو اسحق **فصل** وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما
روى من ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى
ترتضى وفى رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفى اخرى
والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون
والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم وما وقع فى بعض الروايات ان الشيطان القاها
على لسانه وان النبى صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شئ يقارب بينه وبين
قومه وفى رواية اخرى ان لا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل
جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك
النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى
الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك فاعلم اكرمك الله ان لنا فى الكلام على مشكل
هذا الحديث ماخذين احدهما فى توهين اصله والثانى على تسليمه وأما الماخذ
الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند
سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب
المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكى
حيث قال لقد بلى الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون
مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته
فقائل يقول انه فى الصلاة واخر يقول قالها فى نادى قومه حين انزلت عليه السورة
واخر يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدث نفسه فسها واخر
يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبى صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل

قال

قالها هكذا اقرأت واخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأها فلما
بلغ النبى ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت
هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب
واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابى بشر عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما احسب الشك فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم كان بمكة
وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم
باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره
يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس فقد
بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف
ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه واما
حديث الكلبى فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه
البزار رحمه الله والذى منه فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو
بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق
النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه
وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح
الهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل
فيه ما ليس منه ويعتقد النبى صلى الله عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه
عليه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع فى حقه عليه السلام او يقول ذلك النبى
من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا
بالبرهان والاجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا
ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقى الشيطان او يكون للشيطان عليه
سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو
تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات الاية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان
هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح

بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من
المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى
متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه
ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب
والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم
لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من
في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى
هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة
ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك
لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه
البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت
فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث
اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس او الجن هذا الحديث على بعض مغفلي
المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية
ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان تردان الخبر
الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان
ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري
وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه
زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت
ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له
وهذا مثل قوله في الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم
ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس
كل ما في القران كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه قريش و
ثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل

ولا كان

ولا كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى
الاية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق
في الاية الا ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا
من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية
واما الماخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن
على كل حال فقد اجاب على ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها
ما روى قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه السورة
فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي مثله في حالة
من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة
لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله
عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب
عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان
وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان
على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير و
التوبيخ للكفار كقول ابرهيم هذا ربي على احد التاويلات وكقوله بل فعله كبيرهم
هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن
مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره
القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام
قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من
المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران
ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد
الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة
النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي
صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين بحفظ السورة
قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي في ذم الاوثان وعيبها ما

عرفه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها
وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن
النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال
الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى
لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه
ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو
اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث
نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا
السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة
ما ليس من القران بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو
بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما
لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة
العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلى
وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي انها الملائكة
وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم
ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من
قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد
بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه
اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين التي
وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته وكان
في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء و
وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا
العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى

خاف

١١٢

خاف الكفار ان يأتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في
تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله
لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك
من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبين
للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما لبس
به العدو وكما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية ومن ذلك
ما روي من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما
تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا
فاعلم اكرمك الله انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس
قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس
بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا
وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى
الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية وروي في الاخبار
انهم راوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير
غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان
عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار
الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول
او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب
كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول
اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا
كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري
محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان و
تلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع
في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل

خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسله ما هو اعظم
من هذا والعجب لتسليم العقل بنقل مثل هذه الحكاية سرح وقد صدرت
من عدو وكافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن احد من
المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله
وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون
ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يوحى
اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن
في نظم القران وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال
له عليم حليم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه
لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لهما اذ كان ما تقدم مما
املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام
ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع
البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق
ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة وكذلك قوله عليه السلام
ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الاي وجهان وقراءتان
انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل الكاتب بفطنته و
معرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي كما قدمناه فصوبها له النبي
صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك
في بعض مقاطع الاي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك
انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم
وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قراهما معا
جميعا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها
وننشرها ونقص الحق ونقض الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي
صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما
يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القران فيصف الله ويسميه

في ذلك كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله
سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد
ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا
ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه
وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم
من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة
بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانهم لم يكن لهم توقف
ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو
ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار
رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك
اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القسم فقال عمر
كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره واثاره وسيره وشمائله
معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه
السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان
ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه عما اشار به على
الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور
التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى خيرا منها
الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون
الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في
هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها
وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو
على اي وجه كان استريب في خبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس
موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عن من عرف بالوهم و
الغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب

في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروة وكل
هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستشنع
ويشنع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع
هذا الموقع فان عددناها من الصغاير فهل يجري على حكمها في الخلوف
فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبي عن قليله وكثيره سهوه وعمده
اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين والتصديق ما جاء به
النبي وتجويز شي من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة
فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه من
الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من سامح في تجويز
ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم
الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان
ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم والنظر
احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم وسوالهم
عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف و
اتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من
الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبلغ لك صحة ما اشرنا اليه فصل
فان قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو
اسحق ابرهيم بن جعفر قال نا القاضي ابو الاصبغ ابن سهل نا
حاتم بن محمد نا ابو عبد الله بن الفخار نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى
عن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال
سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم
في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة ام
نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية
الاخرى ما قصرت الصلاة وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين
وانهما لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض

ذلك

١١٥

ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة
بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا
اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو
الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب
من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة
النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا
القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول
مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز
السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق
باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم
ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا
صدق ايضا وجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت
قصدا وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس السلام وهذا محتمل
وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ
من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم
اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما
نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ
على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
والذي اقول ويظهر انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار
للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئسما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث
الاخر لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلاة
ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان
جرى شي من ذلك فقد نسي حتى سال غيره فتحقق انه نسي واجرى عليه

ذلك ليس فوله على هذا لم انس ولم نقصر او كل ذلك لم يكن صدق وحق
ولم نقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر استمددته من كلام
بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى
وكذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو انما هو
شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله
عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق
على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قول واما قصة
كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذبات الثلاث المنصوصة
في القران منها اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك
عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب
لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة
عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم اي ان كل
مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا
وقيل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم
وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه
اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل
بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي
كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في
حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف
في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى
الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه
الله وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره
بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه
وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال
فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة

فان قلت

فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم
الا ثلاث كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كلمات وقال في حديث الشفاعة
ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا
في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق
ابرهيم عليه السلام من مواخذته بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده لئلا ياخذ
عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع اخر والبحث عن
اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى
موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان
قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب
الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم
منك وهذا خبر قد انبا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض
طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه
فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه
ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك
فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه
وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد
وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد
الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى
اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى
وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا
القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا الاية
او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ
كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان
نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه

الرذايل لانبياء فغيرهم بعد رحمة سيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله
فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا
مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذى الحديث احدى حجج القائلين بنبوة
الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولى اعلم من النبى واما الانبياء فيتفاضلون
فى المعارف وبقوله وما فعلته عن امرى فدل انه يوحى ومن قال انه ليس بنبى قال يحتمل
ان يكون فعله بامر نبى اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا كان فى زمان موسى نبى غيره
الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار فى ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا
اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفى قضايا معينة لم يحتج الى اثبات
نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله و
الخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انما الجى موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم

فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول
باللسان فيما عدا الخبر الذى وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما
عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة
الانبياء من الفواحش والكباير الموبقات ومستند الجمهور فى ذلك الاجماع
الذى ذكرناه وهو مذهب القاضى ابى بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع
الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف
انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير فى التبليغ لان كل ذلك
يقتضى العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة واما الصغاير
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابى جعفر الطبرى
وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به
وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات
فى الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء
والمتكلمين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس
فى الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان
كل ما عصى الله به فهو كبيرة وانه انما سمى منها الصغير بالاضافة الى ما هو
اكبر منه ومخالفة البارى فى اى امر كان يوجب كونه كبيرة قال القاضى ابو محمد

عبد الوهاب

عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان فى معاصى الله صغيرة الا على معنى انها باجتناب
الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا
يحبطها شىء والمشية فى العفو عنها الى الله وهو قول القاضى ابو بكر وجماعة
ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب على
القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحقها
ذلك بالكباير ولا فى صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة
واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان
مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزرى بصاحبه وينفر القلوب عنه
والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى
الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى
عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم
من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا و
جمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعى وابى حنيفة من غير
التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا فى حكم ذلك وحكى
ابن خويز منداذ وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول
الابهرى وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العلم وابن
سريج والاصطخرى وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على
ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما
كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة فى
افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن الاقتداء بهم
فى افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة
او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما
على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد
هذا حجة بان نقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا عليه السلام
مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى شيئا فسكت

عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه
منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر
او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد
علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت
وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا
نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا
بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم
قالت عائشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه السلام
على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم
لله واعلمكم بحدوده والآثار في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من
مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة
في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه
السلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائز وقوعها
منهم اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة
عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة
واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات
الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة
دنياهم وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه
اول الكتاب طرفا في خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله على
نبينا وعلى سائر انبيائه عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات
بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية (فصل) وقد اختلف في عصمتهم ف
من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح ان شاء الله
تنزيههم عن كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها
كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف

الناس

١١٨

الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله
ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا
القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما
تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين لهذه
المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر
الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو
كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى
ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم
يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه
يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح
وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى
واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم
عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها
في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان
عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف
بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه
المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل
عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة والاظهر
فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان
شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى
آخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة
عيسى بل الصحيح انه لم تكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام
ولا حجة ايضا للآخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا ولا للآخرين
في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فتحمل هذه الآية على اتباعهم
في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى

تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول
من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية شرايعهم
مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد و
عبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول
في سائر الانبياء غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا
فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور له
وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع
لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي **فصل** هذا حكم ما تكون
المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف
واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعية مما
تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذة عليه فاحوال الانبياء في
ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سوا ثم ذلك على نوعين
ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم
باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة
من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك
قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرد المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا
لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والادا وطرو هذه العوارض عليها
يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات
نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقها والمتكلمين
الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جايز
عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال
البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها واما
السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل
وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون

فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب
افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام اني لانسى وانسى لاسن بل قد روى لست
انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة
بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان القايلين بتجويز ذلك يشترطون
ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول
بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ
ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار
قلبه ما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علما الامة على جواز السهو و
الغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة
الخلق وسياسة الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعدا ولكن ليس على سبيل
التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه ليغان على
قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شي يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت
طايفة الى منع السهو والنسيان والغفلات في حقه عليه السلام جملة وهو مذهب
جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث
مذاهب نذكرها بعد هذا ان شا الله **فصل** في الكلام على الاحاديث
المذكور فيها السهو منه عليه السلام قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه
السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا
واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد
في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه
السلام في الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من
اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث
ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على
السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ
بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به
ليرتفع الالتباس وتظهر فايدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل

في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا
بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا
وكذا اية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني لا انسى
او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى
ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس لشك وان
معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل
ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة او انسى في النوم او انسى على سبيل عادة
البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتوجهي له فاضاف
احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ هو
فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة
وافة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو
في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها
واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا
كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب
عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا
في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني
لا انسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد
وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين
من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه
ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه
نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئس
ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة
الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها
كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو

عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات
الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في
الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح
ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه عليه
السلام عن الصلاة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه
في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح
هذا التاويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول
بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده
من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله
لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى
يكون منه الحدث فيما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع
غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه
من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوءه بمجرد النوم اذ
لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر فكيف وفي اخر الحديث نفسه ثم نام
حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من
اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية
الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا
ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما
قال لبلال اكلا لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس
بالصبح ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح
الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم
عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد قال
عليه السلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ولقد اذكرني
كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ
اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ فعله من القران اي ان

اياه الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان
من سهو او غفلة من قبله تذكرها صح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه صلى الله
عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز
لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقط من هذه الايات جائز عليه
بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من نفسه او من قبل
نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان
ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ
ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل
دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه **فصل** في الرد على من اجاز ف
عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين الصغائر
على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها
افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما
احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه
وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم
اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة
غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله فمن
ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وقوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وقوله ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى
ان جاءه الاعمى الاية وما قص من قصص غيره من الانبياء كقوله وعصى ادم ربه
فغوى وقوله فلما اتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما الاية وقوله عنه
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما
ذكر من قصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته

مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول
النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت واخرت واسررت واعلنت ونحوه
من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه
في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الاية وقد كان قال
الله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابرهيم والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمن
الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها
وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل
النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته
عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره
القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتاول قوله واستغفر لذنبك وللمومنين
والمومنات قال مكي مخاطبة النبي عليه السلام ههنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار
فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية وبمآل المومنين
في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك مغفور لك غير مواخذ
بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة ههنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول
ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم
ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره
من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل
ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا
ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت

وحفظ عليك ومعنى انقض اى كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل
النبوة اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة
فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من
ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل
قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما
قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبى صلى الله عليه وسلم فيه من الله
تعالى نهى فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم
معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك
بل كان مخيرا فى امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحى
فكيف وقد قال الله له فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه
من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا ههنا
بمعنى غفر بل كما قال النبى صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب
عليهم قط اى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيرى قال وانما يقول العفو لا يكون الا
عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا
قال الداودى روى انها تكرمة قال مكى هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله
واعزك وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله واما قوله فى اسارى بدر
ما كان لنبى ان يكون له اسرى الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبى صلى الله عليه وسلم
بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبى
غيرك كما قال عليه السلام احلت لى الغنائم ولم تحل لنبى قبلى فان قيل فما معنى
قوله تريدون عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم
وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار وليس المراد بهذا النبى عليه
السلام ولا علية اصحابه بل قد روى عن الضحاك انها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم على القتال حتى
خشى عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون فى معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق منى ان لا اعذب احدا الا بعد

النهى

النهى لعذبتكم فهذا ينفى ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المراد لولا ايمانكم
بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم
ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مومنين بالقران وكنتم
ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق فى اللوح
المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفى الذنب والمعصية لان من فعل
ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه
السلام قد خير فى ذلك وقد روى عن على رضى الله عنه قال جاء جبريل عليه
السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك فى الاسارى
ان شاؤا القتل وان شاؤا الفدا على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا
الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن
لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان
والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار
غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبرى وقوله عليه
السلام فى هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة
الى هذا من تصويب رايه وراى من اخذ بماخذه فى اعزاز الدين واظهار
كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه
عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن لم يقدر عليهم فى
ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودى والخبر بهذا لا يثبت
ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبى صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا
دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضى
بكر بن العلاء اخبر الله نبيه فى هذه الاية ان تاويله وافق ما كتبه له من
احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا فى سرية عبد الله بن
جحش التى قتل فيها ابن الحضرمى بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله
ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبى
صلى الله عليه وسلم فى شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله

فلم يشكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم
اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك
لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس
وتولى الايات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك
المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين
الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك
الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية
ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر
الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل
اراد بعبس وتولى الكافر الذى كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام
واما قصة ادم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة و
تصريحه تعالى عليه بالمعصية كقوله وعصى ادم ربه فغوى اى جهل وقيل
اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى
ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسى عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك
ان هذا عدو لك ولزوجك الاية قيل نسى ذلك بما اظهرا لهما وقال ابن عباس
انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل لم يقصد المخالفة
استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان
احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر ادم بمثل هذا فى بعض الاثار و
قال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسى ولم ينو
المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين
على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف
لان الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية و
كذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى والساهى
عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك

قبل

٢٧٣

قبل النبوة وكذلك و دليل ذلك قوله وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كلها بعد العصيان
وقيل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها لانه تاول
نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من
ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها نهى تحريم
فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى ادم وقال فتاب عليه وقوله
فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتى
الجواب عنه وعن اشباهه مجملا اخر الفصل ان شاء الله واما قصة يونس
فقد مضى الكلام على بعضها انفا وليس فى قصة يونس نص على ذنب وانما
فيها ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه
عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله
عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب
فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم
يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله
ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله انى كنت من الظالمين
فالظلم وضع الشئ فى غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما
ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب
على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطى
فى معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل
هذا قول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما غير
الموضع الذى انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة
داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت لما سطره فيها الاخباريون عن اهل
الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شئ
من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله وظن داود
انما فتناه الى قوله وحسن ماب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اى اختبرناه

واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما
زاد داود على ان قال للرجل انزل لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك
ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقد
قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان
ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه
والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو
تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا
خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما
اليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الاية واما قصة يوسف واخوته فليس
على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على
افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبيا قال
المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا
بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا
به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد
هذا والله اعلم واما قول الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان
ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يواخذ به وليست سيئة
لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا
معصية في همه اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان
الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من هومها
وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف
من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها من هذا الهم
او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي
قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم
وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان راى برهان
ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالى عن المراة ولقد راودته عن

نفسه

نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال
وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية قيل
في ربي الله وقيل الملك وقيل همّ بها اي بزجرها ووعظها وقيل همّ بها اي غمها
امتناعه عنها وقيل همّ بها نظر اليها وقيل همّ بضربها ودفعها وقيل هذا
كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة
حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه
واما خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال
كان من القبط الذي على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة
موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في
ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج
قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يومر وقال النقاش لم
يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال
وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته
وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى
له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك
اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها
واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع
في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه
فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل
ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه
من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك
الموت فدافع عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له
فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم
وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو
تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره

على حكم ولطمه بالحجة وفقؤ عينه بحجة وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف
واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمن
فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة
على مائة امراة او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال
له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق
رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل
الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه
وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه
على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني
وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على
خصمهم وقيل ووخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون
من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه
لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل
لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها
ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى
والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه فقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي لم يفعل هذا سليمن غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده
في ذلك على ما ذكره المفسرون الا يسلط عليه احد كما يسلط عليه الشيطان الذي
سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من
الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله
بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه
واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح
عليه السلام فظاهر العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى
واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوى عنه من ذلك لا انه
شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعدهم بنجاتهم لكفره
وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته

فيهم

فيهم فووخذوا بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه
لسواله ما لم يوذن له في السوال فيه وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر
ابنه وقد قيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى
ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسوال فيما لم يوذن له فيه ولا نهي عنه
وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه
ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ان هذا
الذي اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا بقتل من يوذي جنسه و
يمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته
النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب
عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان
انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هنالك ولم يات في
كل هذا امرا نهي عنه فيعصى به ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة
والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام ما من احد الا الم
بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم
من ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة فصل
فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته
من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه
فغوى وما تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق
ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة
بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ
به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم ووخذوا
عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المواخذة بها واتوها على وجه التاويل

١٣٦

او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة
الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم
فان الذنب ماخوذ من الشي الدني الرذل ومنه ذنب كل شي اي اخره واذناب
الناس رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم واسوأ ما يجري من احوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب
والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث
من الكبائر والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة اليه هذه الهنات في حقهم
كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى
علي احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظ
كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان
تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها
وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد ووخذ بقوله لاحد صاحبي
السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع
سنين قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك
قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار
لما قال يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال
يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يواخذ الانبياء بمثاقيل الذر
لمكانتهم عنده ويجاوز عن ساير الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به
من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان
الانبياء يواخذون بهذا مما لا يواخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته
وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوأ حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا
نثبت لك المواخذة في هذا على حد مواخذة غيرهم بل نقول انهم يواخذون
بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون
استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قوله لموسى تبت اليك اني اصطفيتك
على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن ماب
قال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات

وذلك

وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن
ليس في درجتهم بمواخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا
المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة
ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا
قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص
الله من قصة صاحب الحوت نقصا ناله ولكن استزاده من نبينا عليه
السلام وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغاير
باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم
من وقوع الصغاير عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المواخذة بها
اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا
فهو جوابنا عن المواخذة بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار
النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام
وقد امن من المواخذة بما تقدم وتاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال
اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث بن اسد خوف الملائكة والانبياء
خوف اعظام وتعبد لله لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم ولتستن
بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء
وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
فاحداث الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل
حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى
لنبيه بعد ان غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه
كان توابا

فصل

قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق
من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي
العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة وعقلا واجماعا وقبلها سمعا

ونقول ولا يشك فيما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا و
شرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير
قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه
قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا
وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه
للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان
تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها
وتعلم عظيم فايدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز او يستحيل
عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه
ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط
في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه
يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين
راياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال
لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في
قلوبكما شيئا فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوايد ما تكلمنا عليه في هذه
الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها
جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين
للفايدة التي ذكرناها وفايدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتبتني
عليها مسائل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء
في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل
كبير من اصول الفقه ولا بد من بنايه على صدق النبي في اخباره وبلاغه وانه
لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم
في وقوع الصغاير وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك
العلم فلا نطول به وفايدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف
الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز
وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك
ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجتري على سفك

دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي عليه السلام ولسبيل هذا ما
قد اختلف ارباب الاصول وايمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل في القول في عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون
فضلاء واتفق ايمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة
مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء
مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طايفة الى عصمة جميعهم عن
المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وبقوله ان
الذين لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون
ونحوه من السمعيات وذهبت طايفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين
واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله
بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم
الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض
شيوخنا اشار ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام
في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوايد التي ذكرناها سوى فايدة
الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة
جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين
وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلايهما فاعلم اكرمك الله ان هذه
الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القران اختلف المفسرون في معناه وانكر
ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود
وافترايهم كما نصه الله اول الايات من افترايهم بذلك على سليمان وتكفيرهم
اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف
غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت وماروت

١٢٨

هل هما ملكان او انسيان وقيل هما المراد بالملكين ام وهل القراة ملكين او ملكين
وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر
المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبينه وان عمله كفر فمن تعلمه
كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمها الناس لم تعليم
انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه
ولا تحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما
فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي
عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما
عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد
على جلالة وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما
في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ننزههما
عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان
ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر
الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين
قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان
فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت
وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من
اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك
قراة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكن قال الملكان هنا داود وسليمان
ويكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه
السمرقندي والقراة بكسر اللام شاذة فمحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن
ينزه الملئكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله انهم مطهرون
وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكر من قصة ابليس وانه كان
من الملئكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من
الملئكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون
ذلك وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد

وقال

وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم حين افسدوا والاستثناء من غير
الجنس شايع في كلام العرب وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما
رووه في الاخبار ان خلقا من الملئكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا
لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الا ابليس في اخبار
لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا تشتغل بها الباب الثاني
فيما يخصهم في الامور الدينوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا
انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص
للبشر يجوز عليه من الافات والتغييرات والالام والاسقام وتجرع كاس
الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما تسمى ناقصا
بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها
تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد
مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه
الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش
شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر
وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من
دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره
من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا ورموا في النار ووشروا بالمناشير
ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما
عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قميئة يوم احد
ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطايف فلقد اخذ على عيون قريش
عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن
لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر
انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات
ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرفع الالتباس
عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى

بعيسى وليكون في محنتهم تسلية لامتهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه

فصل

ف فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه قال نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبيد بن اسمعيل قال نا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي حديث آخر حتى كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم

وفقنا الله

وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتدرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تاويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان
لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على
قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطي نسائه وطعامه
واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن
اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنى منهن
اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله
لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة
في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره
كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من
غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرا عليه
في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا
ولا يجد به الملحد المعترض انسا **فصل** هذه حاله في جسمه فاما احواله
في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل
اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون
منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاصي
وغير واحد سماعا وقراءة قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر نا ابو العباس
الرازي نا ابو احمد بن عمرويه نا ابن سفيان نا مسلم نا عبد الله بن الرومي
وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا نا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة نا
ابو النجاشي نا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم
يابرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان
خيرا فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من دينكم
فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رايي فانما انا بشر وفي رواية انس انتم اعلم بامر
دنياكم وفي حديث آخر انما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس
في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله
فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطي واصيب وهذا على ما قررناه

فيما

فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه و
اجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام لما
نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس
لنا ان نتقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراي والحرب و
المكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى ناتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نعور
ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله
وقد قال له الله وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة
فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا
التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه اذ
ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل نفسه بها والنبي مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة
مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض
الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها
لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة
بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد
نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب **فصل** واما ما يعتقده في امور احكام
البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من
المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل
بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق
اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد
رحمه الله نا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو عمر نا ابو محمد نا ابو بكر نا ابو داود نا
محمد بن كثير نا سفيان بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل
بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له ويجري احكامه عليه السلام
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة

الاشيه ومعرفة المعاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى لو شاء
لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد نفسه وعلمه
دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته
باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان
مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء
من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم
ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام
الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله تعالى احكامه
على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به
في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين
من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل
المتاول وكان حكمه في الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام و
اكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته
ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم
الغيب الذي استاثر به عالم الغيب ولا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستاثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا
يفصم عروة من عصمته **فصل** واما اقواله الدنيوية من اخباره ف
عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها
ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى
او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض
مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلافها وباطنها
فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته
عن وجه مغازيه لئلا ياخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته

لبسط

لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا في تحبيبهم ومسرة
نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التي سالته عن زوجها
اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه
بياض وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر
فاما ما بابه غير الخبر مما هو في صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا
يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو
يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين
فكيف ان تكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى في قصة
زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية
فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر
وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم
نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك
زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله
مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد منها وروى نحوه عمرو بن فايد
عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب
بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد
هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله
لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه عليه السلام مما
كان اعلمه تعالى به وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله
له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم
نبيه فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله سنة الله في الذين خلوا من
قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها
من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم
الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان

هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء
قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قايله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم
وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت
ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق
زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته
كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج
ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفايدة
في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد في امساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه
النبي عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها
زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله بتزويجها ليباح مثل ذلك
لامته كما قال تعالى لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان
امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا
عليه انه راها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم
من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا
بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه
عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي
القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل
التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف
ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض
الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي فقد اخطا قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما
معناه الاستحياء اي تستحي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه
السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين
بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلايل الابناء كما كان فعتبه الله على
هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضا ازواجه
في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله له هاهنا وتخشى الناس

والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعايشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه

فصل

فان قلت
قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها
خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا
رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال نا القاضي ابو الوليد نا ابو الوليد
نا ابو ذر نا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل
نا علي بن عبد الله نا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله
عن ابن عباس قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم كتابا
لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني
فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية
هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان النبي قد اشتد به الوجع
وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف
اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ايمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله
عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع
وغشي ونحوه مما يطرا على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك
ما يطعن في معجزته ويودي الى فساد في شريعته من هذيان او اختلال في كلام
وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال
هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى
اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري
من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام
عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق
وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية

121

من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول القايل هجر
أو أهجر دهشة من قايل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله
عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم
بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القايل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع
لانه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول والله
يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحق
المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون
هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم
باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر
بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا
بعد امره لهم عليه السلام ان ياتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله
صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقراين فلعل قد ظهر
من قراين قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر
رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف
عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه من صواب راي عمر ثم هولاء قالوا ويكون
امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء
الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي اشتد به الوجع وقيل
خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى
ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب
فيكون المصيب والمخطي ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة
وان الله قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله
وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب
في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك
وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل
يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى

ان معنى

ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه
ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم
للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي
انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة
علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني فان الذي
انا فيه اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني
مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابه امر الخلافة بعده وتعيين ذلك فصل
فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراتي
عليه نا ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابو احمد الجلودي نا
ابرهيم بن سفين نا مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا ليث عن سعيد بن ابي سعيد
عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك
عهدا لن تخلفنيه فايما مومن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة
وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وفي رواية فايما احد دعوت عليه
دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته
او لعنته او جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن
النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من
لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم
شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره
فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده
او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته
على امته ورافته ورحمته للمومنين التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن
دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل
لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا
يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر

ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على
معاقبته بلعنه او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين
المعاقبة فيه والعفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف
والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته
على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب
وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك وما اشبع الله بطنك وعقرى
حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث انه عليه السلام لم يكن
فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا
عند المعتبة ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه
السلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل
ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو
عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى
الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك
سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة
لما اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران
كما جاء في الحديث الآخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة فان قلت
فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصم مع الانصاري في
شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك
يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم
احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع
بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير
اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض
بذلك الآخر ولج وقال ما لم يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا
ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه
بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير
حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه

وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان
فانه في حكمه في حال الغضب والرضا سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي
صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح
وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعدي حمله الغضب عليه بل
وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا
ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان
يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع الاعرابي حين
طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي
صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي
صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد
ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع
ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفى عنه واما
حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق ورس ورس
حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول
الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه عليه السلام لمنكر راه به ولعله لم يرد
ضربه بالقضيب الا لتنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على
ما قدمناه **فصل** واما افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي
المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها
ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة
افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب
على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه الا الضرورة وما يقيم
رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس
امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر
يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف شارد او قهر معاند او
مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته
وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور
اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة

في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلاف فيها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ودعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد ابرهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعايشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابرهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم في مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شي من اطرافه وحتى كان على رؤس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله لعايشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه

ابتاعه

ابتاعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستالفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن غيبة بل كان جايزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قلت فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعايشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال له عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عايشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا

١٢٤

ذهب الداودى وغيره وتوبيخ النبى صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك
يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطى لهم الولاء
اى اظهرى لهم حكمه وبينى عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم
بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم
منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية
فى رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته فى ذلك وقوله انكم
لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف
كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه فى دين
الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه
وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه فانى انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى
عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة
السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس
من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهه ولعل قائله ان حسن
له التاويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك
لفعلهم قبل يوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول الانبياء
ما لم يات انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن
زلات غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمة فى اجرا الامر وشدتها
عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم
الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال
ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم
وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك
ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعا صدق لا مبدل لكلماته
يبتلى عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن
عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ونعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم

بضروب المحن زيادة فى مكانتهم ورفعة فى درجاتهم واسباب لاستخراج
حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوسط والتفويض والدعاء
والتضرع منهم وتاكيد لبصائرهم فى رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين
فيتسلوا فى المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم فى الصبر ومحو لهنات فرطت
منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون
اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضى ابو على الحافظ نا ابو الحسين
الصيرفى وابو الفضل بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادى نا ابو على
السنجى نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى الترمذى نا قتيبة نا حماد بن زيد
عن عاصم بن بهدلة عن مصعب عن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله
اى الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب
دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الارض ما عليه خطيئة
وكما قال تعالى وكاين من نبى قتل معه ربيون كثير الايات الثلاث
وعن ابى هريرة ما يزال البلاء بالمومن فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله
وما عليه خطيئة وعن انس عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل
له العقوبة فى الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى
يوافى به يوم القيمة وفى حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه وحكى السمرقندى ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد
كى يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روى عن لقمان انه قال يا بنى الذهب
والفضة يختبران بالنار والمومن يختبر بالبلاء وقد حكى ان ابتلاء
يعقوب بيوسف كان سببه التفاته فى صلاته اليه ويوسف نائم محبة
له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوى وهما يضحكان
وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه
وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء
اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما
علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادى على سطحه الا من كان مفطرا

١٢٥

فليتعذ عند الله يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي دقق الله عليهما وروي عن الليث
ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا
له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان
لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او لتعجل بالمعصية في داره
ولا علم عنده وهذه فايدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت
عايشة ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك
لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت
ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان
رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي
عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف
لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر
وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء وعن انس عنه صلى الله عليه
وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن
رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى
من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فيكون له كفارة
وروى هذا عن عايشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه السلام
من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عايشة ما من مصيبة تصيب
المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد
ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى
ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن
مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحت
ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب
الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل
خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم

المرض وضعف الجسم والنفس لذلك بخلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد
من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد
قال عليه السلام مثل المومن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا
وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفاوها فاذا سكنت اعتدلت
وكذلك المومن يكفا بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى
يقصمها الله معناه ان المومن مرزا مصاب بالبلاء والامراض راض
بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه
كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها
من حيث اتتها فاذا ازاح الله عن المومن رياح البلايا واعتدل صحيحا
كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه و
معرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه
السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه
سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من الالام ومعرفة ما له فيها من
الاجر وتوطينه نفسه على المصايب ورقتها وضعفها بتوالي المرض
او شدته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه
كالارزة الصماء حتى اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه
بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة
نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة
اشد كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من
ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الاية ففجاء جميعهم
بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا
ما كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث ابرهيم كانوا يكرهون اخذة
كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان
الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت

فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا
الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى
تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما
يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم
المغفور له ما تقدم وما تاخر قد طيبا التنصل في مرضه ممن كان له عليه
مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه
على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده
كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا يضل
امته بعده اما في النص على الخلافة والله اعلم بمراده ثم راى الامساك
عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المومنين واوليائه المتقين
وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم
وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك
قال عليه السلام في رجل مات فجاءة سبحان الله كانه على غضب المحروم
من حرم وصيته وقال موت الفجاءة راحة للمومن واخذه اسف
للكافر او الفاجر وذلك لان الموت ياتي المومن وهو غالبا مستعد له
منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب
الدنيا واذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه وتاتي الكافر
والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة
ومزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم
ينظرون فكان الموت اشد شي عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه
واكره شي له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله
احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

القسم الرابع

في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من

الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم
واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على
قتل متنقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم
كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا
لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذلك ان اليهود
كانوا يقولون راعنا يا محمد ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون
بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المومنين عن التشبه بهم وقطع
الذريعة بنهي المومنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى
سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها
عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير
النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا
عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام
واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته
فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ
كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القسم لم اعنك انما دعوت
هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره
لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزءون ذريعة الى اذاه
والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا السواه
تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام
حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته
واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب
ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله

وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على
التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون
يدعونه برسول الله وبنبي الله وقد يدعوه بكنيته ابا القسم بعضهم في
بعض الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي
باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم
تلعنونهم وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله
عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه
محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه
محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا عليه السلام يسب بك والله لا تدعى
محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان تسمى احد
باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسماء
الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق
الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القسم وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام
ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى النبي عليه السلام محمد بن طلحة و
محمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر
احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان او ثلاثة وقد فصلت الكلام
في هذا القسم على ما ياتي كما قدمنا

الباب الاول في بيان

ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك
ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه
او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب
له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب
له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول
هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك

من لعنه

١٢٨

من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق
الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من
القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه
ببعض العوارض البشرية الجايزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من
العلماء وايمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا
قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله
عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك ابن انس والليث واحمد واسحق وهو
مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق
رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هولاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه
والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة
وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري عن ابي حنيفة واصحابه
فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن
سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته
وتكفيره وهل قتله حدا او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله
تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف
الامة وقد ذكر واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية
وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف
ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم
المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الامة
القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن حسين بن
خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي
صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمن الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين
اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب
ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن
حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القسم

في العقبة او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كا
الزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب
والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن
ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او
شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ
يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف
وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر
قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى
ابن وهب عن مالك من قال ان ردا النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر
النبي وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان
من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل
بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه
وسلم الحمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى محمد بن ابي زيد بقتل رجل
سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح
الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار
في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج
من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا
وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل
له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت
برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا
شريكك يريد في قتله وثواب ذلك وقال حبيب بن الربيع لان ادعاء

التاويل

١٢٦

التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزز لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا موقر له فوجبت اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في
عشار قال لرجل ادّ واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت
او جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم
المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى
الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة و
زعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه
لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابرهيم الفزاري
وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي
ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب
في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا عليه السلام فاحضر له القاضي يحيى بن
عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب
منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما رفعت خشبته
وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان اية للجميع و
كبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب في
دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته
اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي
مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون
استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي
صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا
الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك
متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد
وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر

ف

اوما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة
من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد
مضى من مذاهب العلماء في ذلك وياتي ما يدل عليه

فصل في الحجة في

ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام فمن القران لعنه تعالى لموذيه في الدنيا
والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله وان اللعن انما
يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يوذون الله ورسوله
الاية وقال في قاتل المومن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك
لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون و
قاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المومنين وفي اذى
المومنين فيما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله
ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا
من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد نافى هذا وقال تعالى يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم
ولا تحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاوك حيوك
بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى
ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين يوذون
رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب الى قوله كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو
عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة نا
ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيويه نا محمد بن نوح نا عبد العزيز
بن محمد بن الحسن بن زبالة نا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى
عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي

عن ابيه

عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب
اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل
كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يوذي الله ورسوله
ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه
له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال
البراء وكان يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم
الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام وفي
حديث اخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد
انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يوذيه
من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة
منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه
وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر
قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه
رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير
وروى ايضا ان امراة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي
فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروي ان رجلا كذب على النبي صلى الله
عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك
قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن
١٤٧ ابي امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هناك في الردة
غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ
ابا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء
ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت امراة من خطمة النبي
صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله

فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان
وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها
فلا ينزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم و
تشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها
وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق
فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من
الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النساي اتيت ابا بكر
وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال يا خليفة رسول الله دعني اضرب
عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل
الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما
اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى
عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب
عمر اليه انه لا يحل قتل امرء مسلم بسب احد من الناس الا رجل سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد
مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق
افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المومنين ما بقاء الامة
بعد نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها
غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومولفي اخباره وغيرهم ولا ادري
من هولاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا
مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشهر بعلم او من لا يوثق بفتواه
او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف
هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك
على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله

من جهة

من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة
مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء
بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول ثور وابي
حنيفة والكوفيين والقول الاخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم
يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه
فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء
والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر
ايضا فهو كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم
ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا
ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قايل مثل هذا ان كان مستترا
به انه حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه غير دينه وقد قال عليه السلام
من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة
مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه
السلام القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره **فصل**
فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له
السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه
لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي عليه السلام من ذلك وقال
قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين
كانوا يوذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اول الكلام يستالف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه
ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه
انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا
وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان

النبي صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي
عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه
وكان يرفقهم بالعطا والاحسان وبذلك امره الله فقال تعالى ولا تزال
تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين
وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وذلك لحاجة الناس للتالف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر و
اظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل
ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن
لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن يؤذيه كابن
الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم جماعة سواهم ككعب
بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين
وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات
انما كان يقولها القايل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت و
ينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا
يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم
وجفوتهم كما صبر اولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا
واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء
واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا
رحمهم الله عن هذا السوال وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم
ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من
صبي او عبد او امراة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر
اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت
عليه عائشة ولو كان صرح بذلك لم ينفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه
وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم
وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم

وكذلك

وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلهذا تركهم وايضا فان الامر كان
سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار
والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن
المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المومنين وصحابة سيد
المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم
وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب
الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول
في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان
للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك
بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجرا الاحكام
الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستوا الناس
في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله
عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله
تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في
المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق
وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القايل
هذه القسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم
منه الطعن عليه والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا
والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى الذي
له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذا
قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت

الذى لا بد من محاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسئمون دينكم والسام والسامة
الملال وهذا دعاء على سامه الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخارى
على هذا الحديث باب اذا عرض الذمى او غيره بسب النبى صلى الله عليه وسلم قال بعض
علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذاء قال القاضى
ابو الفضل قد قدمنا ان الاذا والسب فى حقه عليه السلام سواء وقال القاضى
ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر
فى الحديث هل كان هذا اليهودى من اهل العهد والذمة او الحرب ولا
يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى فى ذلك كله والاظهر من هذه
الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يومنون و
كذلك ترجم البخارى على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال
الخوارج للتالف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك و
قررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو اعظم من سبه
الى ان نصره الله عليهم واذن له فى قتل من سبه منهم وانزلهم من
صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم
من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدى المومنين وكاشفهم بالسب
فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم
من جوارهم فان قلت فقد جاء فى الحديث الصحيح عن عايشة انه عليه
السلام ما انتقم لنفسه فى شئ يوتى اليه الا ان تنتهك حرمة الله
فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضى انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه
وكذبه فان هذه من حرمات الله التى انتقم منها وانما يكون ما لا
ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل بالنفس
والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من
الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابى بردائه حتى
اثر فى عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابى شراه من
فرسه التى شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه واشباه

هذا

هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبى صلى الله عليه وسلم
حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح
مما يجوز للانسان فعله وان تاذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان
الذين يوذون الله ورسوله وبقوله عليه السلام فى حديث فاطمة انها
بضعة منى يوذينى ما اذاها الا وانى لا احرم ما احل الله ولكن لا يجتمع
ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل ابدا او يكون هذا مما اذاه
به كافر وجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودى الذى سحره وعن
الاعرابى الذى اراد قتله وعن اليهودية التى سمته وقد قيل قتلها ومثل
هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء
استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق

فصل تقدم الكلام فى قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه
باى وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه
الثانى لاحق به فى البيان والجلاء وهو ان يكون القايل لما قال فى جهته
عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم فى
جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا
يجوز عليه او نفى ما يجب له مما هو فى حقه عليه السلام نقيصة مثل ان
ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة فى تبليغ الرسالة او فى حكم بين
الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده
او تكذيب بما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر
بها عن عن قصد لرد خبره او ياتى بسفه من القول او قبيح من
الكلام ونوع من السب فى جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد
ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر
اضطره او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور فى كلامه
فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر
احد فى الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشئ مما ذكرناه

اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا
افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي
صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن
ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا
وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره
يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد
لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على
نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر
منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق و
العتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله
للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله
عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن
في جنايتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من
النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث ان يقصد الى
تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او
يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع
يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد
وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط القتل
عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما
قاله من كذب او غيره وان كان مستسرا بذلك فحكمه حكم الزنديق
لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه
من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع
وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل
او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه
انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون
وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر
بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل
الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب
والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر
على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك
في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب
النبي عليه السلام كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن سليمان صاحب
سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام باسود
وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت
ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه
كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

فصل الوجه الرابع ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله
على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره
فههنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة
استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب
حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم
ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه
فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون
هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا
كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحق البرقي
واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم
يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم
يكن معه قرينة تدل على سب النبي صلى الله عليه وسلم او سب الملائكة صلوات الله عليهم

ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غيرهما
ولا لاجل قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان
لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق
لعلة صاحبه وذهب الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى
القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق
قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه
حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد
اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره
اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين
والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب
المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات
لا بد من انعام النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن
ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل
ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين
منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن
قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث
لا يبيع حاضر لباد ولعن من جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم
معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر
حاله سب الله ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو
فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري
في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن
مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد
من ابائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع
الى ادم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة
الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في ابائه من الانبياء على علم لقتل

وقد تضيق

وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال
اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا
قبيحا في ابائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى
الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض ابائه
واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد كان اختلف شيوخنا فيمن
قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء
يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة
ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال
اللفظ عنده [illegible] ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها
قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد
تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه
اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا
القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد
ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال
ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل
يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه
بالسوط واطلقه

فصل

الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا
يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله
عليه السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه
او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته على طريق
التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل
التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام او قصد الهزل والتندير بقوله
كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي وان كذبت فقد كذب

الانبياء وان ملت ادبت فقد اذنبوا وانا اسلم من السنة الناس ولم
يسلم منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم او كصبر
ايوب او صبر نبي الله عن عداه او حلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار
المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته
بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير على ان اخر البيت شديد وداخل
في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه
وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل
هو مثله في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل فصدر البيت الثاني
من هذا الفصل لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين
احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه
اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبريل
وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان
وقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد و
وزيره ابو بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضا وحسان حسان وانت
محمد الى مثل هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف
امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم
فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم
به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا
وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير
من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه و
غرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان
لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني عجزي
بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة
ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه

في كرامة

في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في
وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى
عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب
والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومالوف
عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون
ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي
سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء انت
المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتبي
ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه
بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا
كما قد الشركان وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول
الله من نفره لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف
فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام
مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه
في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب قال
ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا
وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له
قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا
وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب
والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل
قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد
بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه
حين راه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد
لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب

للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء قال واما ذاكر خازن النار مالك فقد جفا الذي ذكره عندما
من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القايل على
طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول
كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل
هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد
ويعاقب المعاقبة الشديد وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل
وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له اسكت
فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي اميا فشنع عليه مقاله وكفره
الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق
الكفر عليه فخطا لكنه مخطي في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون
النبي اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه
بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجا الى الله
فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله
بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها بعض
قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه
اخر بشي فقال له انما تريد تنقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم
النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم
يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله

فصل

الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره واثرا له عن سواه
فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان
اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقايله والانكار والاعلام بقوله
والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك
ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض على قايله

والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي
لذلك والمحكي عنه فان كان القايل لذلك ممن تصدى لان يوخذ عنه
العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق
وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة
عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره
وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين
وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يودب الصبيان فان من هذه
سريرته لا يومن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هولاء الايجاب لحق
النبي عليه السلام ولحق شريعته وان لم يكن القايل بهذه السبيل فالقيام
بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى
حيا وميتا مستحق على كل مومن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق و
فصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب
في تكثير الشهادة وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال
المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد
يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا يودي شهادته قال ان رجا
١٤٧ نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل
بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما
الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب
فليس التفكه بعرض النبي عليه السلام والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا
ولا اثرا لغير غرض شرعي بمباح واما الاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب
والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه
على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه
الله علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى على
حكايات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا

شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن
اسد فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقايلين بالمخلوق وهذه الوجوه
السايغة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه
على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين
ومضاحك المجان ونوادر السخفا والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع
وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قايله الحاكي له على غير قصد
او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة
حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن
العودة اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة
حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول القران
مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما
سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه
لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره
او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف
له والتحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم
الساب نفسه يواخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل
الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما
هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع
المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراته
وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم
فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته
الا اشيا ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة
الله من قايلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام
رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في
كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبرا لدينه وتحفظا من المشاركة
في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله

عليه وسلم **فصل** الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف
في جوازه عليه وما يطرا من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر
ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له
ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بوس زمنه ومر عليه من معاناة
عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت
منه العصمة للانبيا وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون
الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر
اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل
العلم وفهما طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوايده و
يجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف
تعليم النسا سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف
معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن
نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتدا حاله وقال ما من نبي الا وقد
رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة
فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة
والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبيا حكمة بالغة
وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من
خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر
الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر
لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتداه والتعجب من منح الله قبله
وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته
اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم
شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة
ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمومنين
والف بين قلوبهم وامداده بالملايكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا
اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى

علوه ولهذا قال هرقل حين سال ابا سفيان عنه هل في ابائه من ملك ثم قال
ولو كان في ابائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم من صفته واحدى
علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب
ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك
اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة
معجزته اذ معجزته العظمى من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم
الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن
مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ
المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي الة لها وواسطة موصلة
اليها غير مرادة في نفسها فان احصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة
والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة
فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته
فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته
وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم
موته وقتاله وهلم جرى الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من
الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في
اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها
وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله وماثره
وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان
حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق
بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء
عليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم
بحال تحتاج الى التاويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح
ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره
التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى

وقال

وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل ان ابن عجلان يحدث
بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها
وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف
بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي
صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه
وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن
في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم
من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز
ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم
من امن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان
لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف
الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان يذكر على
وجه التعريف بانها ضعيفة المعنى واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ
على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة
لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل
كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود
بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها
وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس فصل ومما يجب على المتكلم
فيما يجوز على النبي وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل
قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام
وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا
يهمله ويظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من
الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة
الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا

اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه السلام يتحرى احسن
اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل
يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهواً او غلطاً ونحوه من
العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز
الا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء
حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال
قال هل تجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغاير
فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا
من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من
تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء يتحفظ من هذا فقبح منه
ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لاجل ترك
تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قايله واذا كان
مثل هذا بين الناس مستعملاً في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله
في حقه عليه السلام اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح الشيء وتحسنه
وتحريرها وتهذيبها تعظم الامر وتهونه ولهذا قال عليه السلام ان من
البيان لسحراً فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج
في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان
الكباير بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره و
تعظيمه وتعزيره عند ذكره مجرداً فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف
تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني
وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي من القرآن حكى الله فيها مقال
عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته
اعظاماً لربه واجلالاً له واشفاقاً من التشبه بمن كفر به

وحكم

في حكم سابه وشانيه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته
قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل
ذلك وقايله وتخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه
وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء
قتله حداً لا كفراً ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا
القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله
او جاء تايباً من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كساير الحدود
قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر
التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد مثله واما ما
بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله
عليه وسلم من الموحدين ثم تاب لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف
في الزنديق اذا جاء تايباً فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين
قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف
خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل
على صحتها بمجيئه فكاننا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي
ابو الفضل وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبي اقوى لا يتصور فيها الخلاف
على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي ولامته بسببه لا تسقطه التوبة
كساير حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك
والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عند
ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه
عليه السلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئاً حده عندنا
القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال
القاضي ابو محمد بن نصر محتجاً لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين
من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي بشر والبشر جنس

١٥١

تلحقهم المعرة الامن اكرمه الله بنبوته والبارى تعالى منزه عن جميع المعايب
قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لاحق فيه لغيره
من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي تعلق فيه حق لادمي فكان
كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لاتسقط عنه حد
القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لاتسقط ذنوبه
من زنا وسرقة وغيره ولم يقتل ساب النبي لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم
حرمته وزوال المعرة به وذلك لاتسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل
يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء
والاستخفاف اولان توبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله
اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من سب
النبي عليه السلام ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من
حقوق الادميين التي لاتسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هاولاء
مبني على القول بقتله حدا لاكفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على
رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال
به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل
وان ابى قتل فحكمه بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر و
اظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب
القتل فيه حدا وانما يقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ماشهد عليه
به واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فيقتل حدا لثبات كلمة الكفر عليه
في حق النبي وتحقيره ماعظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك
حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف يثبتون عليه
الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره
بالتوحيد والنبوة وانكاره ماشهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه
وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض
احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك
الصلاة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره

بذلك

بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مالا
اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لانقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا
لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم
بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر
بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا اختلاف فعلى هذه
التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها
واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تنتضح لك مقاصدهم
ان شاء الله فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف
فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لافرق وقد اختلف السلف في وجوبها
وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن
القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره
واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي رباح
والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب
الراى وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في احد الروايتين عنه انه لايستتاب
وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوى
عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لاندرا
القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد
في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في
ذلك سواء وروي عن علي لاتقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي
عن ابن عباس لاتقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر
والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن
عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي
الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لاياتي الاستظهار
الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في
الاستيناء ثلثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة
ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن ابن القصار
في تاخيره ثلثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن

١٥١

الاستتابة والاستيناء ثبتنا اصحاب الرأي وروى عن ابي بكر الصديق
انه يستتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فقال
ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى
الى الاسلام ثلث مرات فان ابى قتل وروى عن علي رضي الله عنه
يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري
ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث
مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد
عن ابن القسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت
عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب
ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من
الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض
عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام
ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع حبس فيها
من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف
ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك
يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان
الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا
كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل
في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة
فان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع
التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى
ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي

فصل

هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من
لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله
لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا
يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة
الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في
الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال
من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته

مما لا

مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه
القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعايق اقتضاه
امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد
عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب
محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون و
افتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه
شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى
تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق
عايق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان
فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن
اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما
يجب عليه وقال في مسئلة اخرى ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي
الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما
ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما
عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه
الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما
بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما و
للحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد

فصل

هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره
او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم
لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة
والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك
اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويستدل ايضا
عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم ابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم
نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا
عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا يقتلون لكفرهم

وايضا فان ذمتهم لاتسقط حدود الكلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل
لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه
وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر يقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي
بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد
وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم
اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم
اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا
منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهر الا مخالفة الامر ونقضا للعهد
فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه
حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى
باطنه اذ قد بدت سرايره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها
شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم
وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة فلم يكن رجوعه الى
الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل
وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك
في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القسم وابن الماجشون وابن عبد
الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام
قتل الا ان يسلم وقاله ابن القسم في العتبية وعند محمد بن سحنون وقال
سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او
احدا من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك
الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القسم
في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى
ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي
او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شيء تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن
القسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو

هذا

١٥٢

هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم
الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي شتما يعرف فانه
يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله
عندي ان اسلم طايعا وقال ابن سحنون في سوالات سليمن بن سالم في اليهودي
يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي
النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير
الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل
لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم
العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان
كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا قال سحنون كما لو بذل
لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قايل كذلك ينتقض
عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك
لا يحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن
ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله و
يدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري قال اتيت
بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش
يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو
المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القسم سالنا مالكا
عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة فهو الان في الجنة
ماله لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال
مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم ثم رايت انه لا يسعني الصمت
قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى
للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا
في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القسم المتقدمة قال فامرني مالك
فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار

فقال انه لحقيق بذلك ولا اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه و
نفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في
جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهدت بنفي الربوبية وبنوة
عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به قال
غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه
من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي
يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه
من حقوق العباد لا يسقط عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله
فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف
النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام
هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله **فصل** في ميراث من قتل ف
بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل
بسب النبي عليه السلام فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي
كفر يشبه كفر الزنديق وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسرا
بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا
يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في
ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث
في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه و
ساير احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل
على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن و
تستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر
المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تايب ولا مقلع وهو مثل
قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله و
مثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب
فيمن اعلن كفره مثل قول ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين

ولا من

ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل
على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق
الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو
محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعد عليه بينة ولم يقبل انه يصلى عليه وروى
اصبغ عن ابن القسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم
واعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث
المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف
فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب والشعبي
وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته من
المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل
ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على راي اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما
على قول مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة
فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من
اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه
لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله
اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن قاسم في العتبية
الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل
او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام
وسئل ابو القاسم ابن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل
هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه
لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله
واختصاره **الباب الثالث** في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه الباب الثالث
وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى
من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط
وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى

١٥٦

من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افترا على الله
بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب
وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن
مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك
اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولابد
من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي بن نصر
عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن
الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني قال يقتل بظاهر
كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف
فقهاء قرطبة في مسلم هرون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان
ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال
عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب
هذا كله فافتى ابرهيم بن حسين ابن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله
تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب
وابرهيم بن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه
الا ان القاضي راى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال
كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة
انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر
بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام
ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه
وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا
احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى اخر
واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من
عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على
مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على بيناه

قبل وذكرنا

ف

قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل** واما من اضاف الى الله
تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن
على طريق التاويل والاجتهاد والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة
من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف
والخلف في تكفير قايله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه في
ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون
فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك
واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم
واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر
بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك ابن
الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول
مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من
قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى
عن ابن القسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن
خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابون
اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم
وقال مثله ايضا ابن القسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال
واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله في المبسوط
في الاباضية والقدرية وساير اهل البدع قال وهم مسلمون وانما
قتلوا لرايهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القسم
من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن
حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج
والقدرية والمرجئة وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال
ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية
الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور

١٥٨

في رواية القدري فقال لا تزوجه قال الله ولعبد مؤمن خير من مشرك
وروى عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من
ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر
قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق
كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا
ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا
تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو
عبد الله التستري من ايمة العراقيين جوابه مختلف يقتل
المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلوة
خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر
اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة
روى عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك والاودي
ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن
عاصم في اخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين
فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب
البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة
والشاكة في هذه الاصول وممن روى عنه معنى القول الاخر
بتكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو راي
الجماعة النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين
ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم
في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي
وانما قال مالك في القدرية وساير اهل البدع يستتابون فان
تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب
ان راى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما

هو

هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين من
سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل
في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة **فصل** في تحقيق
القول في اكفار المتاولين قد ذكرنا مذهب السلف في اكفار اصحاب البدع
والاهواء المتاولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف
عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف العلماء والمتكلمون
في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم
من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء و
المتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم
لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو
قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم
وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون في ذلك ووقفوا
عن القول بالتكفير او ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه
عن اعادة الصلاة خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر
امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم
يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في
المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه
انهم على راي من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا تؤكل ذبائحهم ولا
الصلاة على ميتهم ويختلف في مواريثهم على الخلاف في ميراث المرتد و
قال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين
واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب فيه قول شيخه
ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة
وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او
المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل
هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان

سالم عن المسلم فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة
واخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب
الاحتراز من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دما المصلين
الموحدين خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ في سفك
محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني الشهادة
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة
مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع
من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتاويل
فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في
الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك
في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير
وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير
الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد
ورد مثله في الربا وعقوق الوالدين والزوج وغير موضع واذا كان
محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج
هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء
طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل ههنا
عاد وظاهر هذا الكفر لاسيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى
تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين
وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام
فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا
للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد
في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا
بقوله عليه السلام يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان
الايمان لم يدخل في قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق

السهم

السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وقوله
سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه
الاخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم
ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى
في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله واذا احتجوا بقول ابي سعيد الخدري
في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم
يقل من هذه وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون
بان العبارة لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من
التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي
وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي
وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا
على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شاء في التنبيه
التي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني
واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم بها وتوقيهم في الرواية هذه
المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة
مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل
به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله
تشبيها الله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل
من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين
ان كان ممن عرف الاصل وبنا عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو
كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف
الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري
الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل
وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول
الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره

وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبد الله عن داود الاصبهاني
قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ
الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ
وثمامة في ان كثيرا من العامة والنسا والبله ومقلدة النصارى واليهود
وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال
وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المعنى في كتاب التفرقة وقايل هذا
كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل
من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر
لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص
والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر **فصل**
في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر
اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا
مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية
او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية
وساير فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم
من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة
الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار
او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان
وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول
والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من
اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي
او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة
او والدا او انه متولد من شيء او كاين عنه او ان معه في الازل
شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره
فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالاهيين من الفلاسفة

والمنجمين

والمنجمين والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه و
مكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية
والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم
او بقايه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او
قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها
او تنعمها فيها بحسب زكايها وخبثها وكذلك من اعترف بالالاهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا
خصوصا او احد من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر
بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى و
الغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل
وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من الرافضة
وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من
دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن
جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم
يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض
وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هولاء زعموا ان ظواهر الشرع
واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة و
الحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها
وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور
افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر
والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف
الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال
انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم
او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض
القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير

١٥٨

والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
اذ ذلك يودي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة
وفيه من الازدراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه
وتكذيب قايله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم
وبنبوة نبينا عليه السلام ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي
وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته
المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه السلام
او بعده كالعيسوية من اليهود القايلين بتخصيص رسالته الى العرب
وكالخرمية القايلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القايلين بمشاركة
علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عندها و
يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القايلين
بنبوة بزيع وبيان واشباه هاولاء من ادعى النبوة لنفسه او
جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة
وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع
النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق
الحور العين فهاولاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه
اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله انه
خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا
الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تخصيص ولا تاويل فلا
شك في كفر هاولاء الطوايف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع
الاجماع على تكفير كل من دافع بعض الكتاب او خص حديثا مجمعا على
نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال
الرجم ولهذا يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم
او شك او صحح مذهبهم وان ظهر مع ذلك الاسلام واعتقده ابطال

كل مذهب

كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع
بتكفير كل قايل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع
الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي
صلى الله عليه اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب
حقه في التقديم فهولاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة
باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم
والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم
كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم
وزعمهم انه عهد الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة
الله عليهم وصلى على رسوله واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون
انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله
ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار
والسعي الى الكنايس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير
فحص الرؤس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان
هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك
اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر والزنا
مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة و
بعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر
قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل
الرسول ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الصلوات
وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه
الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط
لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القران نص جلي والخبر به عن الرسول خبر
واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة
طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرايض اسماء رجال

اروا بولايتهم والخبائث والمحادم اسما ورجال امروا بالبراة منهم وقول
بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت
بهم الى اسقاطها واباحة كل شئ لهم ورفع عهد الشرايع عنهم وكذلك
ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج
واجب بالقران واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة
المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادرى
هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه
التفاسير غلطوا او وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان
ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين واشتدت صحبته لهم الا
ان يكون حديث عهد باسلام فيقال له سبيلك ان تسال عن هذا الذى
لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى
معاصرى الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان
تلك البقعة هي مكة والبيت الذى فيها هي الكعبة والقبلة صلى لها
الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك
الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التى فعلها النبي صلى
الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلاة المذكورة هي التى فعل
النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها فيقع
لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر
بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادرى
ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا
يدرى وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما
نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله
به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران
وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القران
او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية

او زعم

اوزعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول
هشام الفوطي ومعمر الضيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله
ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك
القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات
النبي صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله
لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه
بهذا كله وتصريح القران به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القران
بعد علمه انه من القران الذى في ايدى الناس ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه
لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم عن ناقليه
فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب بالقران مكذب للنبي
صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار
او البعث والحساب والقيامة فهو كافر باجماع النص عليه واجماع
الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال
ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى
غير ظاهره وانها لذاة روحانية ومعان باطنة كقول النصارى
والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة
الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول
بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم
ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار
والسير والبلاد التى لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضى الى انكار قاعدة
من الدين كانكار غزوة تبوك او موتة او وجود ابى بكر وعمر او قتل
عثمان وخلافة على مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد
شريعة الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك
اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة على

٣٦

من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره
بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذى ليس طريقه
النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار فى هذا
الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع
المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى الاية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون
الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذى يختص بنقله العلماء
وذهب اخرون الى التوقف فى تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير
النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف باحتجاجهم
به خارق للاجماع قال القاضى ابو بكر القول عندى ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده
والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راى الا ان يكون
هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا
يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله
لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها
الجهل بالله تعالى والثانى ان ياتى فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع
المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشى الى الكنايس بالتزام
الزنار مع اصحابها فى اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه
العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما
كافر منسلخ من ايمان فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او
جحدها مستبصرا فى ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم
وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع
على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون
من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه فاما من جهل
صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هاهنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن ابى
جعفر الطبرى وغيره وقال به ابو الحسن الاشعرى مرة وذهبت طائفة الى ان هذا

لا يخرجه

لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعرى قال لانه لم يعتقد ذلك
اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان
مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبى صلى الله عليه وسلم
انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله على وفى
رواية فيه لعلى اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن
الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر
عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه فى القدرة
على احيائه بل فى نفس البعث الذى لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم
به شرع يقطع عليه فيكون الشك به حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع
فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه
ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط
للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التى اذهلت لبه فلم يواخذ به وقيل
كان هذا فى زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز
كلام العرب الذى صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف
وله امثلة فى كلامهم كقوله لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى
او فى ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن
لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا فى سائر الصفات على مذهب المعتزلة
فمن قال بالمآل لما يوديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم
انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى
اليه قولهم وهكذا عند هذا ساير فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم
قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفى من القول
بالمآل الذى الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا
لا يوول اليه على ما اصلناه فعلى هذين الماخذين اختلف الناس فى اكفار اهل
التاويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس فى ذلك والصواب

ترك اكفادهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجرا حكم الكلام عليهم في قصاصهم ووراثتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم تغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشا على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر ورأى الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشي منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل بشيا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله

ف

فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم قال في المبسوط طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا وامن دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوط ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب

مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابن محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابه وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله والنبي اجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك من سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يوخذ عليه جزية قال ابن حبيب وانا اعلم من قاله غيره

فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله والاهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالاهية او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قايل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نامن باطنه ولا تقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر كما يودب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تودب البهيم على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ادعى له الالاهية وقد قتل عبد

١٦٨

الملك بن مروان الحرث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء و
الملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك
من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي
قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالاهية والقول
بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته
وكذلك حكموا في ابن ابي العزاقر وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا
ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين بن ابي عمر المالكي
وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه
من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن
القسم في كتاب ابن حبيب ومحمد والعتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك
او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقال اشهب في يهودي تنبأ
وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل
قال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن بارية وادعى ان لسانه زل وانما اراد
لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الاخر من
انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله
ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر
ف المتلاعبين **فصل** واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ
ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه و
جلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او
نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر و
الاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على
تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه
وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف
والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء
قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر

فقال

فقال بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب
الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك
دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله
القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم
رب عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين
وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي و
كانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء
فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر
بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة
في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه
من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء
فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال
قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن
رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا
او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله
انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها
على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف
كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم
هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا
عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل
ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل
الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا
وقد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه

١٦٣

لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف مدارس الشريعة والعلم في هذا
الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له
عن العود الى مثله قال ابو سليمن الخطابي وهذا تهور من القول والله
منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال
ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شي حتى يقول اخزى الله الكلب
وفعل به كذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى
الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقلما يقول
جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربه وحدثنا الثقة
ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى
وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هاولاء يتمندلون بالله عز
وعز وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم
على الوجه التي فصلناها والله الموفق فصل وحكم من سب سائر
انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم
وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الاية وقال
تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم الاية الى قوله لا نفرق
بين احد منهم وقال كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من
رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او احدا منهم او تنقصه
قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى
سحنون عن ابن القسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه
الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل
وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمن في بعض اجوبته من سب الله وملائكته
قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر

عن مالك

عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب
فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض
سموا بذلك لقولهم كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة
واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ
منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك
الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله
فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا
كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر
والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل وخزنة الجنة وجهنم
والزبانية وحملة العرش في القران من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء و
كعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على
قبول الخبر بهما فاما من لم يثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من
الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين
ومريم واسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت
الذي تدعي المجوس والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم
فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم
ويودب بقدر حال المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم
وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملائكة فان كان
المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان
من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم
الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل
لاهل العلم فكيف للعامة فصل واعلم ان من استخف بالقرآن
او المصحف او بشي منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به
او بشي منه او كذب بشي مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى
ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شي من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع

١٧٤

قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله نا ابو علي
نا ابن عبد البر نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسه نا ابو داود نا احمد بن
حنبل نا يزيد بن هارون نا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال المرا في القران كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية من كتاب الله من المسلمين فقد
حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او
كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون
ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي
المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ
برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان
جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف اخر
مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع
عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى مالك
قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران
قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى
تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال
المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من
كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم
موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابرهيم خليلا لانهما
اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان ابن الحداد
جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد بحرف من التنزيل كفر
وكان ابو العالية اذا قرا عنده رجل لم يقل له ليس كما قرات
ويقول اما انا فاقرا كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر

بحرف منه فقد كفر كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من
القران فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض
القران فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به
فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عن من خاصم يهوديا فحلف
له بالتوراة فقال الاخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد
ثم شهد اخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود
فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر
بصفة تحتمل التاويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من
عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن
التوراة مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد على
استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين
بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس
في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا
اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة
ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر
الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال
لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم
ارد القران قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل فصل
وسب ال بيته وازواجه واصحابه عليه السلام وتنقصهم حرام ملعون
فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله نا ابو الحسين الصيرفي
وابو الفضل العدل نا ابو يعلى نا ابو علي السنجي نا ابن محبوب نا
الترمذي نا محمد بن يحيى نا يعقوب بن ابرهيم نا عبيدة بن ابي
رائطة عن عبد الرحمن ابن زياد عن عبد الله بن مغفل قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن

١٦٥

ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا تقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال عليه السلام
لا تسبوا اصحابي فانه يجئ قوم في اخر الزمان يسبون اصحابي
فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم
وان مرضوا فلا تعودهم وعنه عليه السلام من سب اصحابي
فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يوذيه
واذى النبي حرام فقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في اصحابي
ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا تؤذوني في عايشة وفي فاطمة
وقال في فاطمة بضعة مني يوذيني ما اذاها وقد
اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد
والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او معاوية او عمرو بن
العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا
من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من
الشيعة الى بغض عثمان والبراة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد
الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ويطال سجنه
حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
سحنون من كفر احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن
سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على
ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا
نكل النكال الشديد وروى عن مالك من سب ابابكر جلد ومن

سبه

سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القران وقال
ابن شعبان عنه لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن
الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر
في القران بما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله و
قالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثيرة وذكر تعالى ما
نسبه المنافقون الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في تبريتها من السوء
وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عايشة ومعنى هذا والله
اعلم لما عظم سبها وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه
واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه القتل كان موذي نبيه
كذلك كما قدمناه وشتم رجل عايشة بالكوفة فقدم الى موسى
بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا
فجلد ثمانين وحلق راسه في الحجامين وروى عن عمر بن
الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد
بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم
احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي
ان عمر بن الخطاب اتى باعرابي يهجو الانصار فقال
لولا ان له صحبة لكفيتموه قال مالك من انتقص احدا من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفي حق قد قسم
الله الفي في ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الذين
الاية ثم قال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الاية
وهولاء ثم قال والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر
لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم
فلا حق له في في المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال

في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حُدَّ عند بعض اصحابنا
حدين حدًا له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل
هذا على غيره ولقوله عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه قال
ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حُدَّ حَدَّ الفرية لانه سب
له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن
قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا
كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو
سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به ومن سب
غير عائشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما
يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسبب حليلته والاخر انها
كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول و
روى ابو مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه
وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته
لانه استخفاف بحق الرسول وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه
مالقة في رجل انكر تحليف امراة بالليل وقال لو كانت بنت
ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين
بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا
يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه
الذي صوب قوله هو اخص باسم الفسق من اسم الفقيه
فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته
وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله وقال ابن عمران في رجل
قال لو شهد علي ابو بكر الصديق انه ان كان في مثل ما يجوز فيه
الشاهد الواحد فلا شيء عليه وان كان اراد غيرهن فيضرب
ضربا يبلغ به حد الموت وذكروها رواية قال القاضي ابو
الفضل هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض

الذي

المنتحى واستوفى الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان في كل قسم منه للمريد
مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت
تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل
في اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت
من بسط قبلي الكلام فيه ومقتدى يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفي
بما اورده عما اورده والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول
ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب
لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه و
امين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه
خواطرنا من ابراز خصائصه ووسائله ويحمي اعراضنا عن ناره
الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل
عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا
يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا
بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل
الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه
والهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما اودعناه وفهم ونستعيذه
جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد
الذي لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة
القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا
ونعم الوكيل وصلواته على سيدنا محمد خاتم
النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين
وسلم تسليما
كثيرا